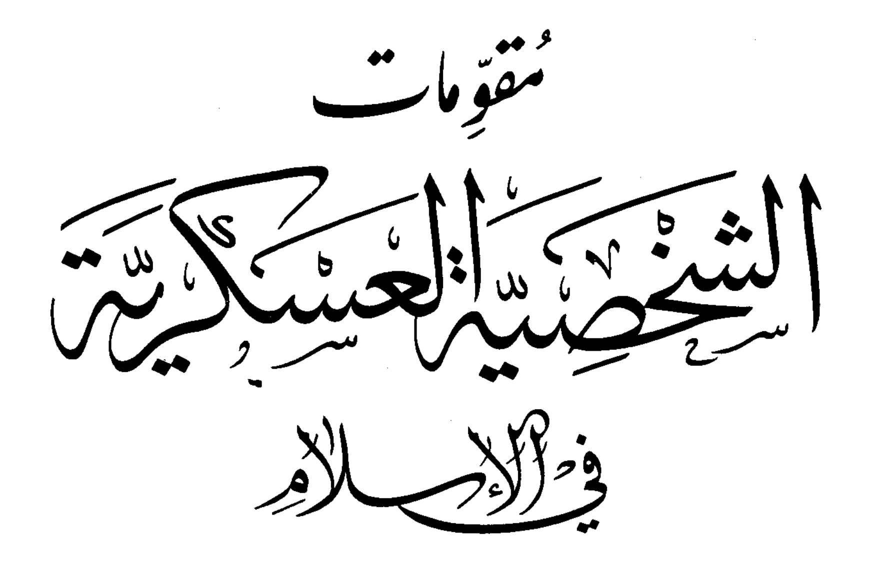
العميد الركن المتقاعد
محمد سعيد غيبة

مقومات الشخصية العسكرية في الإسلام

دار المكتبي



العميد الركن المتقاعد

محمد سعيد غيبة



الطبعة الأولى

١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م



سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا

ص. ب. ٣١٤٢٦ هاتف ٢٢٤٨٤٣٣ فاكس ٢٢٤٨٤٣٢

مُقَوِّمات

الشخصية العسكرية

في الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

إن الحياة علىٰ هذه الأرض جعلها الله ـ بالنسبة للإنسان ـ قائمة علىٰ أصلين :

أ ـ العلم لأنه الموصل إلىٰ الله ، وبه يُعرف وبه يُطبَّق شرعُه . وبه تسير المَدَنية في معارج الكمال ؛ فلقد أكرم ربنا البشرية بَدْءاً من آدم عليه السلام بنفحات العلم ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ ﴾ [البقرة : ٣١] وميَّز آياته الكونية والتكوينية ـ وحتىٰ القرآنية ـ بقوله : ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٣] ورسم طريق الأنبياء والمصلحين الداعين إلىٰ الهدىٰ بقوله ﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف : ١٠٨] وقوله للمتشككين ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس : ١٠١] وجعل دعوة الأنبياء ذات هدف ﴿ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ [إبراهيم : ١] ومن اقتفىٰ أثر الأنبياء لا بد أن تعترضه من الصعوبات ما لاقته دعوة الأنبياء من العدو ، بسبب الجهل الذي يحمله المتعصبون فلا مجالَ لحوارٍ أو تفاهُم ، ولكن صدٌّ وبطش وإيذاء لا لسبب إلا كونهم جاهلين متعصبين لا يقبلون النواميس العلمية ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ يَـٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ ﴾ [الأعراف : ٨٨] ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ ﴾ [الأنفال : ٣٠] ﴿ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ [النمل : ٥٦] .

ب ـ الحرية: وكذلك فالإنسان مفطور علىٰ الحرية، وقد أكرمه ربنا منذ الأزل بحرية الاختيار ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٦] وذكَّر نبيَّه بذلك ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩] ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ [الكهف: ٢٩].

إنْ هذه الحرية في الاختيار والتي تدعىٰ اليوم «بالديمقراطية» هي ما تلهث الشعوب وراءها، وشتان بين ديمقراطية مبرمَجة يفصّلها المتحكمون لتناسب أهل الجهل والتعصب. وحرية اختيار يختار فيها المرء ما يشاء من اعتقاد وتصرّف بشؤونه المصيرية.

وعليه فالمؤمن مطالَب بتحقيق هذين المطلبين في حياته، وعليه أن يجاهد لإقرارهما وتثبيتهما كأصل للتعامل، ومن تعصب لشهواته فأعمته عن رؤية الحق وسماعه وعَبَدَ من يتألهون عليه، نجده يحاربُ للصَدِّ عن الحق ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾ [النساء: ٧٦] وما أقره الله للبشرية.. ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٧٦].. مرددين (لا للعقل.. لا للفكر.. لا للمنطق) حتىٰ لا يَعُم الخير، ولكن ليطغىٰ الناس بعضهم علىٰ بعض وتُهْدَرُ كرامةُ الإنسان.

فمن ذاق حلاوة الإيمان وسطع في قلبه نور الحق، لا يهنؤ له بالٌ إلا بإيصال الحق لأهله ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، فالإنسان ينقلب بالعلم والإيمان من أنانيٍّ همُّهُ شهواتُه، إلىٰ إنسان غيريٍّ همُّهُ الآخرون، وهكذا «لا يؤمن أحدكم حتىٰ يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[1]، وتتحقق إنسانية الإنسان بتحقق الهدف الذي وُجد لأجله علىٰ الأرض.

---

(١) رواه البخاري ومسلم في مختارات الأحاديث النبوية ص ١١٩.

« والخَلْق كلهم عيال الله وأحبُّهم إلىٰ الله أنفعهم لعياله »[1] .

هذه هي دعوة الإنسان لأخيه الإنسان ، نبيلة سامية ، لا تَحمِلُ حقداً ولا ضغينة ، ولكن رحمة ومحبة ، ولذا لا بد لهذه الأهداف النبيلة أن تتحقق بسواعد قوية نظيفة طاهرة ونفوس مطْمئنة .

* * *

(١) مشكاة المصابيح حديث رقم : ٤٩٩٨ .

الفصل الأول

الجهاد الحرابي دوافعه والباعث إليه

أولاً ـ تعريف الجهاد الحرابي وحكمه :

ـ جاء في تعريف الجهاد الحرابي : بذل الجهد في قتال الكفار[١] ، وما يمت إلى القتال بصلة من دعوة إليه ومساعدة وذلك بعد توافر الشروط المطلوبة لمشروعيته بعد وضعهم في خيارات ثلاث:

أ ـ الإسلام. ب ـ الدخول بالذمة. ج ـ الحرب.

أو الدَّعوة إلىٰ دين الله الحق وقتال من لم يقبله[٢] .

ـ حكم الجهاد : جنس الجهاد فرض عين علىٰ كل مسلم عاقل بالغ باليد والمال أو بالقلب واللسان .

ـ حكم الجهاد الحرابي : فرض عين علىٰ من يقوىٰ عليه إذا كان النفير عاماً أو مع رسول الله ﷺ لإعزاز دين الله ودفع الشر عن العباد فإذا حصل المقصود بالبعض سقط عن الباقي[٣] .

وهو فرض كفاية عند عامة المذاهب وجمهور علماء المسلمين .

---

(١) فتح الباري ٦/ ٣ .

(٢) حاشية ابن عابدين : ٤/ ١٢١ .

(٣) ابن قدامة الحنبلي ١/ ٥٥ .

وهو في الوقت الحاضر فرض عين لأن بعض طوائف المسلمين الذين يقومون بالجهاد لإخراج الغاصب من بلادهم ورفع راية الإسلام غير كافٍ[1] .

كما أوجب فقهاءُ المسلمين تخليص المرأة المسلمة إذا سباها أعداء الله ، ولو أدخلوها دار الحرب إذا كانوا قادرين علىٰ ذلك .

غايته : إقامة المجتمع الإسلامي وحماية المسلمين من العدوان .

ثانياً ـ العقيدة القتالية عند المسلمين :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ ﴾ [النساء : ٧٦] الإسلام دين الله لجميع خلقه ، أنزله علىٰ أمَّة كلفها بحمله إلى العالم أجمع ، وباستمرار تبليغه حتى نهاية الزمان « لا تزال طائفةٌ من أمتي يقاتلون حتىٰ تقوم الساعة ، وحتىٰ يأتي وعد الله »[2] و« الخيلُ معقود بنواصيها الخير إلىٰ يوم القيامة »[3] . ويقول عليه الصلاة والسلام : « والجهاد ماضٍ منذ بعثني الله إلىٰ أن يقاتل آخر عصابة من أمتي الدجال »[4] ، وكل قتال لا يكون ضد الكفار لا يكون في الاصطلاح الشرعي من الجهاد على الأرجح وإن كان مبرراً مثل :

- نصرةُ دين الله وإبلاغ الدعوة
- مقاتلة أهل الردة
- قتال أهل البغي .
- قتال الحرابة أو قُطّاع الطرق . .
- القتال للدفاع عن الحرمات الخاصة
- القتال ضد انحراف الحاكم .

---

(١) كما في البوسنة والهرسك ـ الشيشان ـ نوغورنو كرباخ ـ كشمير ـ فلسطين ـ أفخاذيا ـ مورو . . . إلخ .

(٢) البخاري ٢٨٥٢ . وفي صحيح مسلم باب الجهاد ص ٢٩٠ رقم الحديث ١٠٩٦ .

(٣) جزء من حديث في صحيح مسلم باب الجهاد ص ٢٩٢ رقم الحديث ١١٠٥ .

(٤) المبسوط ٢/ ١٠ .

- قتال الفتنة - قتال ضد مغتصب السلطة

- قتال أهل الذمة - قتال الغارة للظفر بما عند العدو

- لإقامة الدولة الإسلامية - لإقامة وحدة البلاد الإسلامية .

- إذا استنفر إمام المسلمين و« إذا استُنفرتم فانفروا »[1].

- إذا هاجم العدو بلاد الإسلام - الذود عن حياض الإسلام

ثالثاً - الباعث على الجهاد الحرابي :

- قوة الإيمان بالله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة : ١١١] .

- معرفة ما أعد الله للمجاهدين من الأجر والثواب : ﴿بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة : ١١١] .

- إحقاق الحق وإبطال الباطل .

- إيجاد المجتمع الصالح والقدوة الحسنة .

أما فضل الجهاد في سبيل الله فهو :

- قمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمعات .

- يثاب المجاهد على كل حركاته ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ﴾ [التوبة : ١٢٠] .

- المجاهد يتاجر مع الله ورأسماله نفسه التي بين جنبيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ . . .﴾ [التوبة : ١١١] .

- المجاهد يرفع لواء الحق ، ويدافع عنه ، وهدفُه طرد الباطل وإزالته :

---

(١) سنن أبي داود حديث رقم ٢٥٠٤ .

﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء : ٨١] .

- المجاهد قلبه طاهر سليم ﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة : ١٤] .

- إن الجهاد في سبيل الله أفضل من عمارة المسجد الحرام وسقاية الحاج ﴿ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ . . ﴾ [التوبة : ١٩] .

- المجاهد فائز دوماً بإحدىٰ الحسنيين : ﴿ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ﴾ [التوبة : ٥٢] .

- المجاهد له الحياة الغالية بعد استشهاده : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران : ١٦٩] .

- المجاهد يلتقي بالملأ الأعلىٰ علىٰ أرض المعركة وقد ساقه الله لنصرته . .

﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى . . ﴾ [الأنفال : ١٢] .

- المجاهد شاهد لله بالوحدانية بدمه وقوله وفعله .

- درجات المجاهد في الأجر بعد الأنبياء والصديقين ﴿ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [النساء : ٦٩] .

- يحب المجاهد الشهيد أن يعود إلىٰ الدنيا فيُقتلَ ، ثم يجاهد فيقتل ، لما يرىٰ من الأجر والثواب الذي سيناله : « ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يعود إلىٰ الدنيا وإن له ما علىٰ الأرض إلا الشهيد »(١) .

- الكُلْم كُلم دم ، والريح ريح مسك « ما من كُلْم يُكْلَم في سبيل الله إلا

---

(١) صحيح مسلم : ١٠٧٩ ص ٢٨٦ كتاب الجهاد - باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالى .

جاء يوم القيامة كهيئته حين كُلِم : لونُه لونُ دم وريحُه ريح مسك »[1] .

- في الشهادة تتجلىٰ حقيقة الزهد بالدنيا وحقيقة الدعوة إلى الله .

- المجاهد يختص بخصال :

- يُكَفَّر عن خطاياه - يرىٰ مقعده بالجنة

- يُزوَّج بالحور العين - يؤمَّن من الفزع الأكبر

- يؤمَّن من عذاب القبر - يُحلَّىٰ بحلية الإيمان

- تظله الملائكة بأجنحتها

- ولهذه الأهداف يقاتل المسلمون ، ولهذا الأجر يسعون ﴿ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴾ [الصافات : ٦١] .

أما أعداء الله فلهم أهداف أخرىٰ، ولذا يسلكون لها طُرُقاً ملتوية وأساليب شتىٰ . وعليه فدور الجندي والقائد وكذلك وسير المعركة ومآل الحرب من نصر أو هزيمة وغنائم أو أسرىٰ مختلف أيضاً بين الطرفين .

﴿ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ [النساء : ١٠٤] .

رابعاً ـ العقيدة القتالية عند أعداء الله :

إن الفضائح التي تتكشف يومياً عن أعمال الحكام في دول ما يسمىٰ (العالم الحر) بعد سقوط الشيوعية هو السبب فيما تعانيه شعوب العالم سواء ما يسمىٰ (دول الشمال) أو (العالم المتحضر) أو ما تعانيه (دول الجنوب) أي العالم الثالث .

فالأُولىٰ تعاني من فقد الطمأنينة والسعادة والاستقرار الاجتماعي

---

(١) مختصر صحيح البخاري رقم الحديث ١١٥٥ كتاب الجهاد ـ باب الحور العين وصفتهن .

والخواء الروحي ، والأمراض المستعصية ـ والنفسية خاصةً .

أما ما تعانيه المجموعة الثانية من فقر وجهل ومرَض ، وتسلط حكام تابعين للغرب ، فكل ذلك يمنع تحرر هذه الشعوب من التبعية ويحول دون فك قيودها .

. . . فمَنْ المستفيد من هذا الوضع القائم. . . ؟ أهي شعوب العالم بشقيها ؟ أم دول الشمال فقط ؟ أم دول الجنوب ؟ . . أم المسلمون المستهدفون ؟ . . أم دَهاقِنةُ السياسة أعداءُ الشعوب والإنسانية ؟ . .

إن مناطق العالم كلها حيوية ـ لتأمين استمرار نهب خيرات الأمم (مصادر الطاقة والمواد الأولية) ـ وسلامة وأمان طرق المواصلات العالمية ـ واستمرار وزيادة أسواق الاستهلاك .

إن تخدير الشعوب بالملهيات وغمسها في حمأة الرذيلة (الجنس والمخدرات) وتحويلها لتعمل بالتفاهات (السياحة . . النشاطات الحزبية . . أو تشجيع أنشطة ومباريات رياضية ، ومسابقات عروض أزياء ، أو انتخاب مَلِكات جمال . . إلخ) هو من الوسائل المعدة للسيطرة علىٰ الشعوب كل الشعوب ، حتىٰ إن الخروج عن هذه القواعد المرسومة . . مآله . . لا يعلمه إلا الله . . المهم أن لا تستفيق الشعوب من رقادها فتمارس حقوقها وحريتها ومسؤوليتها وإنما اليقظة فقط لمن لهم رسم سياستها وفرض أفكارهم وخططهم علىٰ الجميع ، ومثال ذلك ما يسمىٰ اليوم (النظام العالمي الحديث) الذي تتربع فيه دولة عظمى علىٰ كرسي التسلُّط في مقدَّرات العالم يحكمها أصحاب التروستات والكارتلات الصهاينة[١]

إن عنصر الاستفزاز ضروري دوماً لإيجاد حُجج واهية لممارسة ضغوط من قوىٰ البغي لتبرير عدوانها المستمر علىٰ الأمة الإسلامية ، هذه الأمة التي

(١) مصطلحات لما يعرف بالتوسُّع الرأسمالي شاقولياً أو أفقياً .

تحمل هموم الشعوب والمكلَّفة بإخراج الناس من كابوس العبودية لغير الله ، ليعم العدل والسلام العالم .

فسياسة (التسخين) التي يمارسها الغرب المتسلط لضرب الشعوب بعضها ببعض ، عن طريق عملائه ، وبكيل الضربات المتلاحقة ، وعن طريق تقديم آلة الحرب التي يحتكرها ، لفريق تارة ولفريق آخر تارة أخرى بحسب ضعفه ، وقبوله شروطه من حيث الإشرافُ والمراقبة علىٰ استخدامها ، وعن طريق التدخل المستمر بشؤون البلد ، فيزيد بهذه السياسة من أوار الحرب وسعيرها (حرب إيران والعراق خير مثال علىٰ هذا ، حيث أعلنت أمريكا أنها لا تسمح لفريق أن يكون غالباً أو مغلوباً[١] فدام الصراع الذي لا مبرر له سنوات استنفد طاقة الأمة الإسلامية . .) كما أن التمرد علىٰ السياسة المرسومة للبلد يسحق (بسياسة المطرقة) : (كثرة الضربات في المكان المؤلم) ، مع إيقاع أكبر خسارة ، وبعدم استنزاف أية طاقة ، وخاصة القوىٰ البشرية ، لأن الخسائر المادية ستكون الدولةُ مجبَرَةً علىٰ تعويضها أضعاف مضاعفة حسب شروط الغالب علىٰ المغلوب ، كما حصل في ضرب العراق باسم ما يسمىٰ (دُوَل التحالُف) ، كل ذلك ليفقد البلد طاقاته كاملة ، وتبدد ثروته ، ويعود إلىٰ الوراء عشرات السنين .

كل هذا بتخطيط عالمي لقوىٰ الشر ، بعيد المدىٰ لمنع انهيار النظام العالمي الذي تتبناه الحضارة الغربية ، وهي تستخدم لذلك كل ما وصل إليه العلم من وسائل التَّجسُّس والأسلحة المدمرة ، دون أن تخضع لشيء من وازع خلقي أو ديني .

وعلىٰ هذا فاستراتيجية الغرب المتسلِّط قائمة علىٰ :

---

(١) تصريحات المسؤولين في السياسة الأمريكية (الرئيس بوش ووزير خارجيته بيكر) بالاذاعة والصحف.

ـ المحافظة علىٰ مصادر الطاقة والمواد الأولية اللازمة للصناعة لتتحكم بها .

ـ المحافظة علىٰ سلامة وأمن طُرُق المواصلات اللازمة لنقل الموارد والطاقة والمواد المصنعة .

ـ استخدام الحروب المحلّية بين الشعوب لتطوير صناعاتها . وبزيادة البحث العلمي ولاستمرار جعْلها أسواقاً لمنتجاتها .

ـ استخدام أبحاث الفضاء للتجسس والكشف المبكر عن الثورات التحررية ولضربها بالمهد . بمعاونة القوىٰ العميلة التي تغطي لها مصاريف تَدَخُّلِها .

ـ منع البطالة بين عمالها ، ووقف نزيف التضخم الذي تعاني منه شعوبها ، حتىٰ لا تتعرض مصالحها للاضطرابات .

ـ الحرب ضد ما يسمىٰ (بالإرهاب)[1] لضرب الحركات التحررية ، هذا الذي طورت مفهومه ليشمل كل عمل تحرري يقوم به أبناء الأمم المستضعفة لطرد الغزاة من بلادهم ، أو رد الباطل ، أو تحرير بلدهم من التبَعية .

* * *

---

(١) الإرهاب: اتخذ اليوم مفهوماً يعني الإجرام ولكنه أصلاً مطلوب لمنع استطالة شرر العدوان ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

الفصل الثاني

العسكرية والشخصية العسكرية

أولاً ـ الشخصية.

ثانياً ـ الشخصية العسكرية.

ثالثاً ـ الشخصية العسكرية الإسلامية.

رابعاً ـ مقومات الشخصية العسكرية الإسلامية.

أولاً ـ الشخصية :

بما أن لكل إنسان مَلَكات (صفات) تختلف عن ما عند غيره ، لذا فإن سلوكه في المواقف المتأزمة يكون خاصاً به لا يشاركه فيه غيره ، فبينما أحدهم قويٌّ في مجال ، نرىٰ غيره يسقط أو ينهار فيه . وبينما أحدهم هادىء وشاعري في حال يكون غيره عنيف عدواني ، في مثل هذا الموقف فالشخصيةُ مُلْك صاحبها ، وتختلف من إنسان لآخر ، وتحمل في طياتها العديد من الأبعاد النفسية والمشاعر ، ففيها الهدوء والغضب والاستقرار ، وفيها عدم الاتزان وعدم التلاؤم مع الأحداث ، أو انعدام القدرة علىٰ التلاؤم إلى درجة المرض والأزمة .

تعريف : وعليه فيمكن أن نُعَرف الشخصية بأنها مجموعة الاستعدادات الفطرية والصفات الجسمية والقدرات العقلية ، وما ينتج عن هذه المجموعة

من سلوك وطبائع وتصرفات لفرد معين، يعيش في واقع معين، ويتفاعل مع هذا الواقع، ضمن الصفات الخاصة به.

- كما تُعرّف الشخصية بأنها بناء قابل للتطور والتكامل والتكيف ويتوقف هذا علىٰ إرادة الإنسان ووعيه وثقافته ومسؤولياته الحياتية[1]. وقد قيل (الأسلوب هو الرجل).

وتتكامل الشخصية حيث تتآزر مقوماتها في سلوكها نحو الأحسن، وقد تتعرض للاضطرابات والمشكلة والمَرَض، والواقع العملي يثبت أنها مجموعة من المراحل النفسية والخُلُقية، تسير مع الكائن منذ ولادته، وتصاحبه في جميع مراحل حياته، وتتعرض للشذب والصقل خلال الزمن لتأخذ شكلها النهائي المتميز، ولتنال هويتها الخاصة المنفردة بما يمر بالإنسان من تجارب تزيد من تطور شخصيته وتكاملها، إن كانت مدروسة جيداً، أو تهمشها إذا كانت رخيصة بالية - والإنسان بعد مرحلة المراهقة يقف أمام نفسه مسؤولاً وحيداً وملتزماً لمواقف حياتية معينة، وهذا ما عبر عنه بمرحلة التكليف شرعاً فهو مسؤول عن تزكية نفسه ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٧-١٠].

وهو مسؤول عن تكامل شخصيته وعن أخطائه وتصرفاته الطائشة وعن كل خطوة يخطوها، ومن تكاملت شخصيته كان له سلوك حسن وناجح. ومن سَلَك طريق الإيمان سَمَتْ مشاعره، وصارت متوافقة مع دوافعه إلى تطبيق الشرع فكان في صحة نفسية. وعلىٰ العكس عندما يكون الصراع بين الدوافع والرغبات وخاصة المتناميةُ مع الفطرة والمجتمع السليم يقع الإنسان في أمراض نفسية تُضعف شخصيته أو تقوضها، وهذا ظاهر بوضوح في المجتمع الغربي المتفلّت من الضوابط، حيث الأمراض التي لاتُحصىٰ (عُصاب قهري - قَلَق مرضي - تردد - عدم ثقة - قلة نوم - توقع الشر

---

(١) مدخل علم النفس ٦٥.

والأذىٰ ـ الكآبة ـ عدم التركيز . . إلخ) ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ ﴾ [البقرة : ١٠] أما الإيمان فهو اطمئنان ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ [الرعد : ٢٨] .

ثانياً ـ الشخصية العسكرية :

ـ **تعريف** : إنها مجموعة الاستعدادت الموروثة ، والصفات الجسمية الخاصة ، والقدرات العقلية المعيَّنة ، والتي تبلورت كلها في نمط عسكري متكامل وناضج[1] .

ـ مقومات الشخصية العسكرية هي :

أ ـ مجموعة الاستعدادت الأولية وما ينتج عنها من صفات نفسية .

ب ـ مجموعة الصفات الجسمية .

ج ـ مجموعة القدرات العقلية ومستوىٰ الذكاء العام .

د ـ الصفات النفسية العسكرية التي تولَّدت من الخبرة المباشرة بالعمل العسكري وهذه تشمل :

١ـ قوة الشخصية وتأثيرها بالآخرين .

٢ـ الإقدام والجرأة .

٣ـ المحاكمة العقلية في المواقف العسكرية المتأزمة .

٤ـ أهلية القيادة .

٥ـ ضبط النفس .

٦ـ الوِجدان والشرف العسكري .

---

(١) مدخل علم النفس ٧٢ .

٧- التربية العسكرية النموذجية المتكاملة[١] .

وعليه فإن الشخصية العسكرية هي في تكامل الصفات المذكورة وتآزرها بشكل يؤدي إلىٰ سلوك عسكري ناجح ، وإلىٰ تَوافُق وتلاؤم جَدي إيجابي يكون قدوة للآخرين .

- والشخصية العسكرية الإسلامية مبنية على تطابق كامل بين الاستعدادات الموروثة من عقيدة الإسلام وقيمه ، وبين الصفات الجسمية التي نمَّىٰ قدراتها الإسلامُ . وكذلك بين القدرات العقلية التي وَعَتْ عن حقائق الوجود بشكل يطابق الفطرة ويريحها ، وينسجم مع الهدف الذي خلقت هذه القدرات لأجله ، فظهرت في عمل عسكري كقدوة للجميع ، ومثلاً يحتذىٰ في كل عمل جِهادي حرابي علىٰ مَرّ الزمن من حيث الأداء ، لأنها تمثل التضحية مع العفاف ، والفداء مع الإخلاص ، والقوة مع الإيثار .

فالعظيم بالإسلام عظيم في كل شؤونه ليس له ناحية مشرقة وأخرىٰ قاتمة دنيئة . ولذا لم يعرف التاريخ عظماء في كل نواحي الحياة كعظماء المسلمين . (إن دين الله لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه)[٢] .

* * *

---

(١) الذكاء والقيم المعنوية ١٢٧ .

(٢) الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لإبن هشام ج٢/ ١٨٢ .

الفصل الثالث

المؤهلات والتدريب

ويبحث :

- المؤهّلات الواجب توافرها في المجاهد المسلم .

١ـ المؤهلات الموروثة .

٢ـ التأهيل (الإعداد) الجسمي .

٣ـ التأهيل الاجتماعي .

٤ـ التأهيل الخُلقي (عقيدة) .

٥ـ التأهيل النفسي والفكري .

٦ـ التأهيل القيادي والإدارة .

٧ـ التأهيل القتالي ضمن المثل العليا .

أولاً ـ المؤهّلات الموروثة :

المؤهّلات الجسمية (البدنية) .

لقد كان الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام يختار المجاهدين من ذوي البنية القوية ، وقصة الصغار (رافع وسمرة) خير مثال على ذلك ، حيث لم يقبل أحدهما لصغره ، ولكن عندما صرع زميله الذي كان قد أذن له

الرسول الكريم بالخروج معه للجهاد من قبل عاد فسمح للإثنين معاً .
والجندي في جيش الإسلام عليه أن يكون قوي الجسم قادر علىٰ التغلب علىٰ أقرانه ، وقصة ركانة الرجل الذي جاء إلىٰ الرسول الكريم وسأله أن ينازله ليُسْلِم ، لأنه كان يعتز ببطولته وأنه لا أحد يصمد أمامه ، فلما صَرَعَهُ رسول الله ﷺ أسلم مثال آخر . والرسول الكريم يقول « المؤمن القوي خير وأحب إلىٰ الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير »[١] . فالجهاد الذي يحتاج إلىٰ لياقة عالية ، لا يمكن أن يضم إلا شباب مندفعين حمر البشرة مفتولي السواعد . وكذلك فإن القدرة علىٰ تحمل التعب والجوع والعطش وقسوة الأنواء الجوية ، إذا أضيفت إلىٰ (القوة الجسمية والإرادة الصلبة) ، جعلت المجاهد قوياً ومرناً كالنابض،كذلك فلا بد من أن يتمتع المجاهد بخفة الحركة ، بحيث يكون قادراً علىٰ الاشتباك والتملُّص بسرعة ، وكل هذه الصفات تزداد أهميةً مع استخدام السلاح ومعدات القتال ، وهذه القدرات تزداد فعاليتها بالتدريب والممارسات الرياضية الهادفة الفردية والجماعية ، (كالمصارعة والملاكمة والجيدو وألعاب القوىٰ والحواجز ، وخاصة إذا كانت بِلباسِ القتال ومع السلاح) .

ـ إن القدرات البدنية التي يحملها المقاتل الفرد تزداد قيمتها بشكل كبير عند الصراع إذا كانت مع السلاح ، وتتضاعف بعدد رفاقه المنتظمين معه حيث التعاون والانسجام لقد أمر الرسول الكريم قواته في عمرة القضاء بالإضطباع والرَّمل لإظهار القوة،لأهل مكة الذين أشاعوا أن حمى يثرب قد أوهنت المسلمين[٢] .

---

(١) رياض الصالحين رقم الحديث ١٠٠ رواه مسلم في باب المجاهدة .
(٢) سيرة ابن هشام ج ٣/ ٤٢٤ .

ثانياً ـ مؤهلات اجتماعية :

إن المجاهد الذي نشأ من منبتٍ طيب ومَحْتِدٍ نبيل يكون مشبَعاً بالقيم الأخلاقية التي مصدرها الإيمان ، كما أن عمق جذوره بأصله وقومه « خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فَقُهوا »[1] يجعله أهلاً لحمل رسالة السماء إلىٰ أهل الأرض . كما يُشترط فيه أن يكون عارفاً بأنساب العرب والقبائل وأيامها ، عارف بمواقعها وعاداتها ، وبأحوال الشعوب ومعاناتها « تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فإن صلة الرحم منسأ في الأثر ، مثراة في المال »[2] .

إن العلم بالأنساب يفيد في صلة الأرحام « تعلموا النسب ولا تكونوا كنبط السواد[3] إذا سئل أحدكم عن أصله قال من قرية كذا . . وكذا »[4] .

كذلك فإن المعرفة بطبائع القبائل وما تمتاز به ضرورية ، حتىٰ ينادىٰ بها بالمعركة ، ففي معركة (اليمامة) أدرك خالد بن الوليد أن تشكيل الكتائب المختلطة من أهل القرىٰ والبوادي خطأ بعد أن خسر المسلمون ضحايا كثيرة . فأعاد تجميع الجيش علىٰ أساس قبائل المقاتلين وبطونهم ، وقال قولته للقبائل « امتازوا » ، وبهذا جمع شَرَف القبيلة مع سُمُو الدعوة في عمل واحد .

كذلك فالمجاهد يتصف بالتعاون مع الجميع وينسجم مع من حوله « المؤمن يألف ويؤلف »[5] . يُشيعُ مِن حولِه الحب والاحترام .

---

(١) مختصر صحيح مسلم ص ٤٦٥ رقم الحديث ١٧٤٤ باب تجدون الناس معادن .

(٢) سيرة عمر بن الخطاب ، للشيخ محمد علي الطنطاوي وأخيه محمد ص ٥٨٢ .

(٣) النبط والنبيط : جبل معروف كانوا ينزلون بالبطائح بين العراقين . النهاية لإبن الأثير ج ٥ / ص ٩ والأنباط الذين نزلوا سواد العراق ، [اللسان= نبط] .

(٤) سنن الترمذي ١٧٩٧ ج ٤/ ٣٥١ .

(٥) أبو نعيم في الحلية ضعيف .

هو محبوب من أقرانه ومحبوب من رؤسائه ، ومحترَم من مرؤوسيه يقول أمير المؤمنين عمر : أريد أميراً إذا كان مع قومه فهو أميرهم ، وإذا كان أميرهم فهو واحد منهم[١] .

ثالثاً ـ صفات خلقية :

إن الله لم يمدح خِيرة خَلْقه إلا بالخلق فقال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] والخُلق الحسن من أهم صفات المجاهد الشخصية لأنه سيكون مثلاً لأقرانه ، ومثلاً لأعدائه الذين سيدعوهم إلى الإسلام ومثلاً في معاملة أعدائه كأسرىٰ وغيرهم. . هذه الأخلاق ذات الأصل في المنبت قد صقلها الإسلام . منها الكرم والجود (والجود بالنفس أقصىٰ غاية الجود) وكيف يجود بنفسه من لا يعرف الجود ، ومنها السماحة وهي في القلب الذي لا يَحْمِل غِلاً لأحد ـ حتىٰ ولا لأعدائه ـ وهي ممثلة بقول الرسول عليه الصلاة والسلام عندما فتح مكة ، وكان أهلها قد أخرجوه وظاهروا علىٰ إخراجه . . « إذهبوا فأنتم الطُلَقاء »[٢] . والسماحة خُلق الأفاضل لأن المتسامح لا يشعر أن غيره دونه ، بل هو مشترك مع غيره في المنافسة بالعمل المخلِص ، بدلاً من التحاسُد « لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا . . وكونوا عباد الله إخواناً »[٣] .

وللمجاهد شخصية تعادل فكرَه ، فالإرادة بلا ذكاء شيء خطير ، والذكاء دون إرادة أمر لا قيمة له .

ـ والمجاهد قويُّ الملاحظة [حيث لا يمكن الوصول إلىٰ شيء وتنفيذه

---

(١) سيرة عمر بن الخطاب ٤٩٥ .
(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٤١٢ .
(٣) مختصر صحيح مسلم ١٧٧٥ـ١٨٠٠ . كتاب البر والصلة باب المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ص ٤٧٧ .

إلا بعد نقْد وتحليل] فمجموعة القوىٰ العقلية للإنسان هي المحرك للقتال ، وعنها تنبثق إرادة القتال ، وأساليبه ، وشكله ، وتنظيمه ، وسرعة البديهة تعني أن المجاهد يجد لكل موقف حلاً ، ولكل مسألة أو معضِلة مَخرجاً مناسباً ، ففي معركة مؤتة[١] عَيَّن رسول الله ﷺ ثلاثة قادة ، إذا استُشهد الأول حمل الراية الآخر ، وإذا استشهد حملها الثالث ، فحمل الراية زيد ابن حارثة ، فقاتل حتىٰ قُتل ثم حمل الراية جعفر بن أبي طالب ، فقاتل حتىٰ قُتل ثم حمل الراية عبد الله بن رواحة ، فقاتل حتى قُتل . . . ثم حمل الراية سيف من سيوف الله خالد بن الوليد ففتح له[٢] . كذلك في معركة (كاظمة)[٣] في فتح العراق ، كان هُرمُز قد خطط للغدر بخالد بن الوليد أثناء المبارزة معه ، حيث أشار لخالد بأن ينزل عن فرسه ، ونزل هو وقد كلف عدد من رجاله الغدر بخالد وقتْلِهِ عندما يُمسك هو به ، ولكن القعقاع ابن عمرو فطن للعملية ، واندفع فور رؤيته للمجموعة المتحركة باتجاه خالد ، وانقضَّ عليها وقتلهم جميعاً[٤] .

إن البديهة تعني أن الإنسان قادرٌ أن ينقل خصمه من طالب إلى مطلوب ومن سائل إلى مسؤول ومن متهِم إلى متهَم (يرد الكرة بسرعة لملعب الخصم) ، سئل رسول الله ﷺ متى الساعة ؟ فأجاب مباشرة : « ماذا أعددت

---

(١) مؤتة كانت قرية بالبلقاء شمال معان (في الأردن) وقد شيدت الحكومة الأردنية مسجداً في مكان المعركة .

(٢) بعد استشهاد ابن رواحة ، أخذ الراية ثابت بن أقرم رضي الله عنه ، وقال : يا معشر المسلمين ، اصطلحوا على رجل منكم ، فقالوا : أنت ، فقال : ما أنا بفاعل ، ودفع بالراية إلى خالد بن الوليد وقال : أنت أعلم بالقتال مني . فقال له خالد : أنت أحق به مني لأنك ممن شهد بدراً ، فنادى ثابت : يا معشر المسلمين ، فاجتمع الناس على خالد بن الوليد رضي الله عنه ، وسلموه الراية فأخذها . الواقدي ، المغازي ص ٣٢٠ .

(٣) كاظمة : مدينة كانت تقع على الساحل الشمالي لخليج الكويت .

(٤) الطبري ج٢ / ص ٥٥٥ .

لها »[1] ؟ . وسأله الصحابي زيد الخير يا رسول الله ما علامة الله فيمن يحب وفيمن لا يحب . . ؟ فأجابه : « كيف أصبحت يا زيد » . . ؟ قال : أصبحت أحب الخير وأهله[2] .

وهكذا تحول السائل إلى مسؤول ، والمسؤول إلى سائل . .

- إن من صفات المجاهد الذكاءُ ، ويُعَرَّفُ الذكاء بأنه القدرة على فهم العلاقات بين الأشياء والأشخاص والأحداث ، ويملكُه الجميعُ بدرجات متفاوتةٍ وأشكال مختلفة ، فهو يختلف عن الوظائف العضوية في أنه لا يتعلق بعلم من العلوم ، ولا يستهلك أية قدرة ، ولا يسبِّب أي نشاط فيزيولوجي ، ولا يخضع للقياس بشكل دقيق . ويعرَّف الذكي بأنه ، الإنسان الذي يملك القدرة على الاحتفاظ بخبراته ، وبنتائجها ، وبآثارها لتساعده في عملية التوافق والتلاؤم ، وبكلمة أخرى « فالذكي هو الذي يدرك الأمور إدراكاً صحيحاً ويحاول تجديد مجريات حياته فيطور نفسه وأفكاره ومبادئه » .

والتركيز يفيد الذكاء ، والتبعثر والتشبُّث يؤذيه ، فالمراقبة العميقة للأمور والتفكير بشكل دقيق ، والدراسة المنطقية ، واستخدام الأساليب والتعبيرات الحسابية ، تؤدي إلى زيادة القدرة الفكرية ، على عكس الملاحظة الناقصة السريعة ، والانتقال السريع من إحساس لآخر ، وتعدد الصور وانعدام القاعدة ، والجهد يمنع تطور الفكر ولا تؤدي إلى زيادة القدرة الفكرية .

رابعاً - مؤهلات نفسية فكرية :

إن الكائن البشري هو صانع المعركة وأداتها ، وتستهلك المعركة قوى

---

(١) مشكاة المصابيح ٥٠٠٩ ص ١٣٩٥ كتاب الآداب ، باب الحب في الله . متفق عليه .

(٢) حياة الصحابة ٢٦٠ .

هذا الكائن المادية (حواسه وقواه البدنية) والفكرية ومشاعره ، وعواطفه ، وذكاءه وخياله ومحاكماته ، وهي وسيلة ليبث ما يحمله قلبُه من محبة للحق وانتصارٍ له وكرهاً للباطل وإبطالاً له . إن الثالوث الذي يهيمن على المعركة هو الشجاعة والذكاء والسلاح ، فالشجاع منشرح الصدر ، متسع القلب ، وعكسُهُ الجبانُ محرومٌ من سرور النفس ، فالمؤمن الذي يبايع ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح : ١٠] يشعر برضاء الله . . لقد قال عكرمة بن أبي جهل يوم اليرموك : « قاتلت رسول الله ﷺ في مواطن . . وأفرُّ منكم اليوم؟ ثم نادى : من يبايع على الموت[١] » ؟ .

وإنَّ تطابُق هذا الثالوث ليس حتمياً للحصول على النصر ، ولا بد من حساب ردود أفعال الخصم ، وعليه فالواجبُ الأخذُ بالحِيطة والحذر ، وهي أن يُحسب لكل أمر عواقبه ، وقد قيل : في الحذر السلامة ، والرسول الكريم يقول : « المؤمن كيسٌ فطن حَذِر »[٢] .

ـ كذلك فإن استخدام (المفاجأة) هو من صفات المتمرِّس الواثق من نفسه ، والمفاجأة هي بَدْءُ الخصم بأمور غير متوقَّعة (دهاء وقوة مكر بالأعداء ، والعمل للنصر وتقليل الخسائر) « فالحرب خدعة »[٣] . وقصة الصحابي نعيم بن مسعود معروفة وهو صحابي من غطفان : أسلَمَ يوم الخندق ، فجاء رسول الله ﷺ فقال: « إني أسلمت فمرني » فقال عليه الصلاة والسلام : « إنما أنت واحد فَعُد إلى قومك وخذِّل عنا ، فإن الحرب خُدعة » فذهب إلى بني قريظة (اليهود) فدخل عليهم ، وكان حليفهم في الجاهلية ، فتكلم معهم ما شاء ، ثم مضى إلى قريش ، وكان لهم ودودٌ فقال لهم : «إن اليهود ندموا . . » وما زال بينهما حتى تخاذل الفريقان

---

(١) البداية والنهاية ٧/ ١١ .
(٢) الجامع الصغير ٩١٥٨ .
(٣) مشكاة المصابيح ٣٩٣٩ ص١١٥٣ باب القتال في الجهاد .

وافترقا ، وانصرف الأحزاب ﴿ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ﴾ [الأحزاب : ٢٥] فكان عمل هذا الصحابي سبباً لتراجع العدو ، على عكس الجندي الذي لا يهمُه إلا رضاء قادته فيَ خير أو شر .

إن العوامل المباشرة لتحويل الخوف إلى شجاعة ، هي الحماس (الاندفاع إلى الدعوة) أولاً ، والتعود على الخطر ثانياً ، ولا يتوافر هذا إلا في المؤمن بشكل شبه تام ، الذي عرف أن الهجوم على الموت ليس بمُمِيت ، إلا إذا انتهى أجل الإنسان ، كذلك من هذه العوامل العمل ضمن الشعور أن الله مطلع على أعماله ، وأنه راضٍ عنه ، ليحصل على شرف الرضا ، ويتمثل ذلك الشعور بالطاعة (الانضباط) التي تعني التَقيُد بأوامر القائد ، وتجسد طاعة أولي الأمر ، وتحيل الجهاد إلى بطولة ، فالطاعة دليل الإيمان لقول الرسول الكريم : « من أطاع أميري فقد أطاعني ، ومن عصىٰ أميري فقد عصاني »[1] . وطاعة الرسول من طاعة الله : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء : ٨٠] ولقوله تعالىٰ : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور : ٦٣] ومن الطاعة تفويض الأمر لرأي الأمير ، والإسلام ينكر الطاعة العمياء « لا طاعة في معصية الله ، إنما الطاعة في معروف »[2] . وللأمير تأديب المسيء من دون غلظة .

وهكذا الخَوف الذي هو طَبْعِي عند الإنسان يقهر بالعوامل السابقة فيحيل الإنسان إلىٰ شجاع ، أما من سلَّم نفسه للخوف فهو الجبان .

ـ وكذلك الأمر بالنسبة للشعور بالألم والتعب والإرهاق ، فكل هذا يُقهر بالعقيدة وطلب رضاء الله . وبذا يُخلَق لدىٰ الإنسان (التفوق) بالصبر والثبات ﴿ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ [النساء : ١٠٤] .

---

(١) مختصر صحيح البخاري رقم ١٢١١ ص ٤٠٢ كتاب الجهاد .
(٢) صحيح مسلم ١٨٤٠ .

- إن المجاهد قبل أن يحمل السلاح ما هو إلا نفْس ومشاعر وميول وعواطف ، والسلاح أداة ميتة تهبها النفس الحياة ، لذا فكلما كانت هذه النفس سليمة من الأمراض (كالحقد والحسد واللؤم. .) ، كلما كان السلاح ناجحاً وناجعاً ورائعاً ، وإذا كانت النفس مريضة ، صار السلاح مخرِّباً ومؤذياً وسلبياً . فالإيمان هو صحة النفس ، وهذا حال المسلمون في جهادهم بينما أصحاب النفوس المريضة هم أعداء الإسلام ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ ﴾ [البقرة : ١٠] .

- إن الحَجَر الأساسي في كل تفكير مُتَّزِن وعمل ناجح ، هو الهدوء ، الذي يعطي الفرصة لصاحبه كي يفكر ويناقش ويدرس ويقرر ، فهو مالكٌ لزمام عقله ومشاعره ونفسه ، وخاصة وقت الأزمات ، فلا يعطي أمراً إلا بعد تأمل ، ولا يقرر إلا بعد محاكمة عقلية تامة ، ولا يتغير وضعه هذا سواء أكان فرداً أم في صفوف القيادة ، لأنَ عمله لله ، ومنه يطلب الأجر ، حيث يبرُز من صفوف الأفراد قائدٌ تفرضه المعركة كما في معركة (مؤتة) حيث تنازل الجيد للأجود ، وكما في معركة (اليرموك)[1] حيث عُزِل خالد ابن الوليد وتولىٰ أبو عبيدة القيادة ، وكان في صفوف الجند .

- والثقة بالنفس (لا تتعارض مع الثقة بالله ، حيث هي ثقة بِوَعْده ووعيده) ، والتي تعني عدم التردد في اتخاذ القرارات ، بعد الأخذ بالأسباب بأقصىٰ جهد ، حيث لا شيء يُعِدُّ المرء للمستقبل إلا النظر للماضي بعد أن يخضعه للضوابط .

فالخيال جذاب وفطري ، ولكن من الجنون الاعتماد علىٰ الخيال فقط ، والناجحُ مَن يستفيد من النصائح والتجارِب .

---

(١) اليرموك : نسبة لنهر اليرموك والمعركة جرت في منطقة وادي الرقاد ووادي خالد شمال اليرموك (من منطقة تل الجابية حتى زيزون حالياً) .

خامساً ـ مؤهَّلات قيادية :

إن القيادة القتالية ثمرة إرادة إنسانية خيِّرة بنَّاءة ، إنها ثمرة جهد وتعب ودراسة تنعكس علىٰ الوحدات المقاتلة بتكامل ونجاح .

تعريف القيادة: « هي فن معاملة الطبيعة البشرية »[1] . أو:

هي فن التأثير في جماعة من الناس ، بالحث والإرشاد والقدوة الحسنة لاتباع سبيل معين[2] .

فهي (فن) لأنها ناجمة عن خبرة وممارسة وتجربة . توجِّه نحو البشر لتأخذ بزمامهم وترشدهم نحو السبيل المنشود ، بطريقة الأمر المعقول ، والسلوك الحَسن ، والإرشاد الصحيح « من أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف »[3] . والقائد يتصف بصفات اجتماعية وعسكرية ونفسية وثقافية وقيادية من صُلْب شخصيته ، وهي مِلْكٌ لجميع مَنْ يقودُهم ، فهو لم يولد قائداً ، ولم يَرِثَ القيادة من أبوين ، ولكنه مارسها وتعلمها ، وسعىٰ وراء صفاتها الحميدة ، وتعب في تأهيل نفسه وشخصيته ودوافعه .

القيادة في الحقيقة ، هي أمرٌ بسيط ، المهم فيها فهمُنا لمن نتعامل معهم وإفهامهم رأينا جيداً ، أي اقناعهم بأنهم يريدون ما نقول ونأمُر ، لأن الكثيرين لا يسمعون ما يقال ، ولكنهم يسمعون ما يتخيلون .

ومن القيادة مشاورة ذوي الرأي فيما أَعْضَل (عقد خالد بن الوليد مع مستشاريه اجتماعاً ، وشرح لهم الموقف ، وسألهم ، «كيف لي بطريق أخرج فيه من وراء الروم وجموعهم؟ فإني إن استقبلتُها حَبَستني عن إغاثة المسلمين ، وحينما حذروه من أن يغرِّر بالمسلمين قال : « لا بد لاختيار

---

(١) الذكاء والقيم المعنوية ٥٢ .

(٢) الذكاء والقيم المعنوية ٥٢ .

(٣) الجامع الصغير ـ البيهقي ضعيف .

الطريق » (المحدد) وأضاف : لا يختلفَنَّ هدْيُكم ، ولا يضعفَنَّ يقينكم ، واعلموا أنَ المعونة تأتي علىٰ قدر النية ، وأن الأجر علىٰ قدر المشقة ، وأن المسلم لا ينبغي له أن يكترث لشيء يقع فيه مع معونة الله)[1] . ويجب تطبيقُ قاعدة الشورىٰ ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] والقائد الناجح يعرف كيف يختار رجاله المستشارين ، يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : «رحم الله أبا بكر لقد كان حكمه على الرجال خيراً من حكمي»[2] .

والقائد هو الأقدر علىٰ فنون الحرب ، والخبير بها ، والخبير برجاله وتدريبهم ، وبالعدو وبسلاحه ، ومعنوياته وبتدريبه ، وبالأرض وخصائصها وبالأنواء الجوية والاستفادة منها ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ﴾ [البقرة : ٢٤٧] .

ـ والقائد لَيِّن الجانب من غير ضعف ، إنه أب رؤوم ، ليس بقاسٍ ولا جبار « خيار أمرائكم الذين تحبونهم ويحبونكم ، ويدعون لكم وتَدعُون لهم »[3] . وإنه قوي الشخصية محبوب ، وهو يحط من قدر نفسه إذا طلب الكثير ، ليحصل علىٰ ما ينبغي .

ـ القائد يعرف امكانات مرؤوسيه ويسند إليهم المهام بالقدر المناسب « لأعطين الراية غداً لرجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله عليه »[4] . ويُلهِب حماسهم لا للقيادة ولكن للتضحية في سبيل الله .

ـ وحُبُ الظهور والرئاسة بعيدة كل البعد عن القائد ، لأن طلب الدنيا

---

(١) الطبري جزء ٢/٦٠٩ .
(٢) الطبري ٢/٩٨ .
(٣) صحيح مسلم ١٤٨١ .
(٤) مختصر صحيح البخاري رقم ١٢٠٧ ص ٤٠١ كتاب الجهاد .

يتنافىٰ وطَلَبِ الآخرة ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾ [القصص : ٨٣] .

ـ القائد هو القدوة الحسنة في فهمه لأمور الشرع وتطبيقها ، فهو الأول في المبارزة والتحرك والآخر في العودة ، فهو مسؤول عن تزكية جنوده وتطهيرهم من عادات وشعارات هابطة ، يؤمهم بالصلاة ، ويتدارس معهم كتاب الله ، ويناقش الأوضاع العامة فيصقُلَهم بِبوتقة الدعوة ، ويصلح بداهات المرؤوسين باتجاه الأصلح لأن الالتزام بطاعة الله وشرعه أساس النجاح ، فالأهداف السامية لا تتحقق إلا بوسائل وسمات خيرة نبيلة .

ولا يصطحب الأمير معه مخذِّلاً ولا مرجِّفاً ، ولا من يعين علىٰ المسلمين بالتجسس لمصلحة العدو ، ولا من سبق أن ارتد عن الإسلام .

والحرصُ علىٰ سلامة الجيش ، وعدم إيرادهم المواقع الصعبة ، وتأمين حراستهم مِن غِرة يظفر بها العدو منهم ، والقائد الناجح هو الذي يجر جيش العدو إلىٰ الساحة التي هي أصلح لجيش المسلمين في التمكن من القتال ، (يفرض علىٰ العدو المكان والزمان) .

كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يسأل أُمراء الجيش عن مواقعهم ، فيصفون له الأرض التي يُعسكرون فيها ، وكثيراً ما كان يطلب منهم تغيير المواقع ، يقول : (إنه ليس بموقع) .

ـ إن القائد مسؤول عن إعداد ما يحتاج إليه الجيش من تموين ووسائط نقل وتجهيزات .

ـ يقوي معنويات جنوده مما يقرب إليهم من احتمال الظفر .

ـ وعليه أن يَعِدَ أهل الصبر والبلاء بالثواب من الله إذا كانوا من أهل الآخرة ، وبالجزاء والفضل من الغنيمة إذا بقوا أحياء .

ـ عنده فكرة عن سلوك الإنسان في الصحة والمرض ، والراحة والأزمات ، وفي حالات القوة وحالات خوار الأعصاب ، فهو مالكٌ لزمام

مرؤوسيه ، ولا يوجِّه الأفراد إلا وُفق ميولهم ومَلَكاتهم ، ويقوي معنوياتهم بالقول ، وبتطبيق العدالة ، والحوافز وبغيرها فعلاً .

ـ يُثَقِّف نفسه بثقافات عصره من سياسة واجتماع واقتصاد وعلوم كونية ، وله مهنة يتقنها ، ويطور من قدراته بالتحليل والتركيب (الاستنتاج) بشكل موضوعي أمام الحالة الراهنة ، ليقوم باتخاذ قرار سليم صحيح ، وتأمين قناعة لخير العمل ، والقائد المنَظَّم يثير إعجاب أتباعه وَيَأْمنون علىٰ مصيرهم معه ، لا يتيه للأخبار الحسنة ، ولا يخور أمام السيئة ، قادرٌ علىٰ صراع العدو وعلى إغراقِهِ بالشك لأطول مدة أثناء معركته .

سادساً ـ مؤهِّلات قتالية ضمن المثل العليا :

وهذا يعني أن يكون الفرد مقاتلاً باذلاً نفسه رخيصة لتحقيق ما آمن به . والحرب في تعريفها ، صراعٌ جماعي بين إرادتين متعارضتين ومستقلَّتين لكنه صراع مُميت . إنه (صراع جَماعي) لأن الجميع يشتركون في وقت واحد في عمل واحد و(مميت) لأنه ينتهي إلىٰ الموت ، وأما هو (بين إرادتين) فالإرادة الأقوىٰ هي الغالبة (والإرادة المنبعثة من عقيدة إيمانية بالله هي الأقوىٰ) .

إن العوامل التي تلعب دوراً في تهيئة الفرد ، لأن يكون مقاتلاً كثيرة منها (الجنس) فالذكور أكثر ميلاً واستعداداً لهذه المهمَّة .

كذلك (العمر) و(الصحة العامة) ، و(الخلو من الأمراض والعاهات) ، ومنها كذلك (الوسط الاجتماعي) الذي ينتمي إليه المقاتِل .

ومنها كذلك (درجة الإيمان بالأفكار التي يحملها) . فمن يوجد في مواجهة الخطر ، يجد نفسه متأثراً بدوافع إيجابية ، كالحماس للدعوة ، وإرضاء الله ، والاعتياد على المخاطر ، والشعور بالرضا ، وهذه تشكل قوته المعنوية . كذلك يتأثر بالطاقة النفسية ، التي تدفعه للتغلب على أسباب

الانهيار التي تولدها الحرب (تعب ـ حرمان ـ آلام معنوية) كحب الانتصار أو خوف الهزيمة وتصديق وعد الله .

أما الدوافع السلبية فهي المنبعثة من غريزة المحافظة علىٰ البقاء (فالإنسان مدفوع لحماية وجوده ـ واستمرار وجوده) ، والمُثُل العليا التي يحملها المجاهد منبتُها العقيدةُ الإسلامية . فالإسلام ينهى عن الضعف أمام العدو ﴿ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ [النساء : ١٠٤] . والمجاهد يقاتل بتجرد كامل عن أي مغنم مادي أو معنوي سِوىٰ رضاء الله (لتكون كلمة الله هي العليا) .

والمقاتل شديد الصلة بالله وبرسوله ﷺ لأنه في كل حركاته وتصرفاته هو في طاعة : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ﴾ [التوبة : ١٢٠] .

والمقاتل صابر ، والصبر حبس النفس علىٰ ما تكره ، ومما تكرهه النفس القتال الذي تسيل فيه الدماء ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ ﴾ [الأنفال : ٤٥] ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة : ٢١٦] والصبر إذا مزج بالتقوىٰ يكون أقوىٰ ﴿ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ﴾ [آل عمران : ١٢٠] .

والمجاهد متوكِّل علىٰ الله ، والدين نصفُه : توكُّل « استعانة »[1] . والنصف الآخر : الإنابة « العبادة »[2] . وإن مما يدل علىٰ التوكل حسن الظن بالله وعكسه سوء الظن بالله وخاصة وقت الشدة ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٢٢] والتوكل يقتضي اتخاذ الأسباب ﴿ ۞ وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ

---

(١) مدارج السالكين ٣/ ١١٤ .
(٢) مدارج السالكين ٣/ ١١٤ .

لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴾ [التوبة : ٤٦] .

إن تَتَبُّع وصايا الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام لقادة المعارك تبيِّن لنا المثل التي يقاتل لها المسلمون المجاهدون .

يقول عليه الصلاة والسلام : « إن أول الناس يقضىٰ بينهم يوم القيامة رجلٌ استُشهد فأُتي به فعرَّفه نِعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : « قاتلت فيك حتىٰ اسْتشهدت » قال : كذبت ، ولكن قاتلت حتىٰ يقال جريء! وقد قيل ، ثم أُمِرَ به فسحب علىٰ وجهه حتىٰ يلقىٰ بالنار »[1] .

وقوله ﷺ يوم خيبر : « لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح علىٰ يديه » . ثم دعا ﷺ في اليوم التالي عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه فأعطاه الراية وقال « امشِ ولا تلتفت حتىٰ يفتح الله عليك » فسار عليّ رضي الله عنه شيئاً ثم وقف ولم يلتفت ، فقال صارخاً : « يا رسول الله علىٰ ماذا أقاتل الناس » . . ؟

قال ﷺ : « قاتلهم حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإن فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم علىٰ الله »[2] .

ولقد وصىٰ الصِّدِّيقُ جيش أسامة فقال : أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر ، فاحفظوها علي« لا تخونوا ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ، ولا شيخاً كبيراً ، ولا امرأة ، ولا تعقِروا نخلاً ، ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ، ولا بقرة ، ولا بعيراً إلا لمأكلةٍ »[3] .

---

(١) مختصر صحيح مسلم ص ٢٨٩ رقم ١٠٨٩ كتاب الجهاد، باب من قاتل للرياء والسمعة .

(٢) رياض الصالحين رقم ٩٤ ص ٥٣ رواه مسلم .

(٣) الطبري ٢/ ٤٦٣ .

ـ كما وصىٰ الصديقُ رضي الله عنه يزيدَ بن أبي سفيان عندما بعثه قال : «أثناء سيرك لا تقسو علىٰ نفسك أو علىٰ جيشك ، ولا تكن شديداً علىٰ رجالك ، أو قادتك المرؤوسين ، وعليك أن تشاورهم في جميع الأمور ، كن عادلاً ، وأقلِعْ عن الشر والظلم ، فالأمة التي لا تَحكم بالعدل لا يمكن أن تُفلِح وتنتصر علىٰ أعدائها . عند ملاقاتك العدو لا تولي الأدبار ، لأن من يولي الأدبار ـ إلا لمناورة أو إعادة تجميع ـ يبوءُ بغضب من الله ، ومصيره جهنم وبئس القرار . وعندما يَمُنُّ عليك الله بالنصر علىٰ أعدائك ، لا تقتل امرأة أو طفلاً أو شيخاً ، ولا تذبح حيواناً لا تريد أكله ، ولا تنقُضْ عهداً أخذتَهُ علىٰ نفسك ، وسوف تأتي أناساً يعيشون كالرُّهبان في الأديرة وهم يعتقدون أنهم يتعبدون الله ، فدعْهم وشأنَهم ، ولا تدمِّر أديرتهم ، وسوف تقابل أناساً آخرين ، موالين للشيطان وعَبَدَةَ الصليب ، وهم يحلقون منتصَف رؤوسهم ، فترىٰ فَروة رؤوسهم ، فاحمل عليهم بسيفك حتىٰ يعتنقوا الإسلام أو يدفعوا الجزية ، وإني أتركك لعناية الله»[1] .

وكان الصديق يوصي قواده بأن يمنع القائد أصحابه من العَجَلة والفساد ، وأن لا يَدخل فيهم حشواً حتىٰ يعرفهم ويعلم ما هم ، لئلا يكونوا عيوناً ولئلا يؤتىٰ المسلمون من قِبَلهم ، وأن يقصُد بالمسلمين ويرفق بهم في السير والمَنزِل وأن يتفقدهم ، ولا يعجل بعضهم عن بعض ، وأن يستوصي بالمسلمين في حُسن الصحبة ولين القول أبداً . والقائدُ حَذِرٌ يَقِظ دوماً ، يسهر علىٰ تعبئة جيشه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ . . ﴾ [النساء : ٧١] لأنه موالي لله ورسوله والمؤمنين ومعادي للكافرين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ [الممتحنة : ١] .

والعدالة من مقوِّمات القيادة ، فالدولة العادلة أحق بالقيام في الأرض

---

(١) المغازي، الواقدي ٤ .

ولو كانت كافرة ، وليس ذنب أسرع عقوبةً من البغي وقطيعة الرحم[1] .

- إن القتال لِمجردِ نهب الأموال ، أو للسُّمعة أو الرياء ، أو للمكاسب الدنيوية ، ليس من الجهاد في شيء ، ولقد نهىٰ رسول الله ﷺ عن القتال في بعض أيام خيبر ، فقاتل رجلٌ فقُتِل ، فقيل له : استُشهد ، فقال عليه السلام : أبعدما نهيت عن القتال . . ؟ قالوا : نعم ، فقال : « لا تحل الجنة لعاصٍ » .

والعصيان هو فيما لا يتعين فيه الخطأ من الأمير .

* * *

---

(١) الفتاوىٰ ٤/ ١٩٩٤ .



الفصل الرابع

الإعداد القتالي

ويشمل :

- الإعداد القتالي البدني
- الإعداد للنفير (دعوة الإحتياط)
- الإعداد السياسي والعقائدي
- استخدام الأسلحة
- استخدام وسائط الاستطلاع
- استخدام المناورة

أولاً ـ الإعداد القتالي البدَني :

ويشمل تعليم العقيدة العسكرية والقواعد العامة للعلم العسكري ، كما يشمل التدريب علىٰ الفن الذي يمكن بفضله تطبيق القواعد في الحالات الخاصة .

كما يشمل تربيةَ الشخصية ، وإرادة القتال ، للإنتقال من التفكير إلىٰ القرار والعمل .

ـ إن الحرب فن بسيط ، والتنفيذ هو « كل شيء » وهي فن لأنها تتطلب

تدريباً ولا يمكن الحصول علىٰ المهارة الفنية إلا بالتدريب .

والتدريب ضروري للحصول علىٰ معلوماتٍ (علوم عسكرية) ، وعلى تفكيرٍ اعتاد علىٰ معالجة الأفكار ودراستها ويشمل :

أ ـ ما يُعطىٰ للمتعلم من معلومات ضرورية لتنفيذ النشاطات التي ستمارس ، حيث يوضع المتعلم مع حالات واقعية .

ب ـ ما يعطىٰ للمتعلم من أساليب تدفعه للتفكير فيما تعلَّم ، حيث المناورة بوَحَدات صغرىٰ ـ مثلاً ـ مشابهة للمناورة بوحَدَات كبرىٰ . كما إن الاهتمام بالتفصيلات ، والبحث عن الإتقان ضرورةٌ حيوية هامة ، فمعلِّم السباحة الذي يقسم الحركات خارج الماء ، يَطلب من التلميذ اتقاناً لا يطلبه عندما يلقي بالتلميذ في الماء لأن ردود فعل الماء كفيلة بإصلاح الأخطاء بشكل فعال[١] . يقول عليه الصلاة والسلام « إنما العلم بالتعلم »[٢] . ولا يمكن تعلم العمل الحربي إلا بالممارسة ، وتشمل الممارسة :

ـ **التعليم** : تعلم القواعد العامة للعلْم العسكري وعلم الانضباط .

إن السرعة في تأدية الأعمال أثناء المعركة عنصر رئيسي للمفاجأة ، وعلىٰ المجاهد أن يبحث عنها بكل وسيلة ، ولكن السرعة تتعارض مع الإتقان ، ومهما كان نوع النشاط الذي سيمارسه المجاهد ، فلا بد من تأمين الإتقان ، وتصحيح الأخطاء ، وبعد ذلك يتم البحث عن السرعة بصورة متدرجة (بالتكرار المستمر) ، وهذا التكرار يفيد في أنه يحدد العمل الفكري إلىٰ أقل درجة وخاصة وأن المجاهد أثناء المعركة يقع تحت تأثير انفعالات مختلفة ، فينقلب العمل الذي يصادفه إلىٰ ردود فعلٍ وتطبيقٍ للحركات الآلية بشكل واسع . إن التدريب العسكري يقلب المعرفة إلىٰ إتقان .

---

(١) الذكاء والقيم المعنوية ١٢٧ .

(٢) الجامع الصغير ، الخطيب البغدادي ضعيف .

روي عن رسول الله ﷺ أنه كان له من صحابته رامياً من أمهَر الرماة اسمه (حبيب) وقد ترك التمرُّن علىٰ الرمي لمزاولة العبادة ليلاً ونهاراً ، حتىٰ هَزَل جسمُه ، ولما شاهده رسول الله ﷺ علىٰ هذه الحالة سأله : « ما فعل رميك ، وما بجسمك من نُحْل » . . ؟

فأجابه رجلٌ كان بجانبه : « بأبي وأمي أنت يا رسول الله ، لقد تركه ، وأقبل علىٰ العبادة » فقال رسول الله ﷺ : « والذي بعثني بالحق نبياً ما الذي أقبل عليه بأفضل مما تركه . فعاد الرجل إلىٰ رميه »[(١)] .

ـ **والتدريب** علىٰ الفن الذي يمكِّن من تطبيق القواعد الأساسية علىٰ الحالات الخاصة .

والتربية تربيةُ الشخصية والإرادة للانتقال من التفكير إلى القرار .

إن العنصر الأساسي في التربية العسكرية هو إيجاد انضباط حازم عادل يتطور لينقلب إلىٰ تذوُّق ، ولكن لا يصل إلى مرحلة الإذلال ليحطم إرادة المرؤوسين وإذابة شخصيتهم (كما يحصل في بعض المعاهد العسكرية لدول الغرب والشرق) ، وقد ينجح القائد إذا كان قلبه قاسياً ، ولكن لا يستطيع أن يقود بنفسٍ دنيئة .

إن التدريب الهادف للفرد والجماعة هو من مظاهر وضوح الشخصية العسكرية ، وهو يشمل زيادة قدرة التحمل البدني في ظروف قتالية صعبة : (قتال قريب ـ قتال شوارع ـ قتال غابات ـ قتال جبال ـ إلخ) ، وفي أنواء جوية مختلفة (حرارة عالية ـ ثلوج إلخ) . وفي مناطق مختلفة (صحارىٰ ـ مستنقعات . . أنهار) ، كما يشمل جميع أنواع الألعاب الرياضية التي تحتاج لياقة بدنية عالية (ألعاب القوىٰ المصارعة ، الملاكمة ، التسلق ، الحواجز ، القفز . . إلخ) .

---

(١) العقد الفريد ج١/ ٦٩ والسلام والحرب في الإسلام ٨٤٥ .

ـ كما يشمل التدريب على استخدام أصناف الأسلحة ، وقد كان هذا سهلاً عندما كان السلاح الفردي هو المستخدم بشكل رئيسي ، أما بعد أن صارت الأسلحة جماعية ، فلا بد إذن أن يتم التدريب في ثُكْنات ، وبإشراف قادة متخصصين في صنوف الأسلحة ، كما لا بد من تدريب القطعات النظامية (الدائمة) ، وأفراد الاحتياط بفترات زمنية حسب خُطط مقرَّرة سلفاً ، هذا الإعداد هو من القربات إلىٰ الله للمدرب والمتدرب . فهو يفيد المتدرب بشعوره برضاء الله ، وزيادة ثقته بقدراته وبسلاحه لأن الإنسان عدو ما يجهل ، ويزداد ارتباطاً بالمجموعة التي يتدرب معها ، وتزيد الألفة والتعاون فترتفع الروح المعنوية للأفراد ، وتقوىٰ محصلة الروح المعنوية الجماعية ، وبالتالي تشعر الأمة بقوتها .

وإذا شعر العدو منها ذلك ، هابها وأعاد حساباته عند التعامل معها ، هذه القوة هي الواجب إعدادها ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال : ٦٠] .

لقد أرسل خالد بن الوليد لهرمز الحاكم الفارسي لولاية (واست ميزن)[1] .

« أما بعد ؛ فأسلم تسلم ، أو اعتقد لنفسك ولقومك الذمة ، وأقرر بالجزية ، وإلا فلا تلومَنَّ إلا نفسك ، فقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة »[2] .

وقد فسر الرسول الكريم ﷺ معنىٰ القوة بقوله : « ألا إن القوة الرمي . .

---

(١) منطقة متاخمة للجزيرة العربية (عربستان) وفيها مدينة الأُبُلّة الميناء الرئيسي للأمبرطورية الفارسية .
(٢) الطبري ٢/ ٥٥٤ .

قالها ثلاثة »[1] . وهذه من معجزاته عليه الصلاة والسلام ، فالتقدم العلمي الذي بلغ مداه في هذا العصر ، يعتمد دقة الرمي أساساً فالمدافع والدبابات والطائرات والصواريخ ، كلها تتطلب الدقة في الرمي ، وعلم الرمي يحتاج لعلوم شتىٰ كالطبوغرافيا والأرصاد الجوية إلخ . . .

وكالعلوم التي تتعلق بطبقات الجو وبسير المقذوف والأجهزة اللازمة للقياس وكالعلوم البلاستيكية والعلوم الرياضية العالية ـ من زوايا واحتمالات ـ وكل ما يتعلق بالانحراف الناجم عن دوران الأرض والجاذبية . . إلخ .

بالإضافة إلىٰ لياقة بدنية وشَجَاعة وجُرأة ، لأن الأعمال تتم في ظروف المعركة حيث العدو الذي لا يرحم .

وقد حَذَّر الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام من تَعَلَّم الرمي من أن ينساه ،كما حذر من حفظ القرآن من أن ينساه ،وأمر كلاً منهما أن يتعهد نفسه بمراجعة تدريباته باستمرار ، وذلك استعداداً للنفير . .

يقول عليه الصلاة والسلام : « من تعلَّم الرمي ثم تركه ، فقد عصاني . . »[2] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إن الله لَيُدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة : صانعه يَحتسب صنعته الخير ، والرامي له ، والممد به »[3] .

وقوله عليه الصلاة والسلام للحض علىٰ الرمي وقيادة المركبات (الأسلحة البرية والجوية والبحرية كافة عبارة عن مركبات . .) يقول : « ارموا واركبوا ، وإن ترموا أحب إليَّ من أن تركبوا . . »[4] .

---

(١) العقد الفريد ١/ ٦٩ .

(٢) صحيح مسلم حديث رقم ١٩١٩ ج ٣ / ١٥٢٢ .

(٣) مشكاة المصابيح ٣٨٧٣، وسنن أبي داود رقم ٢٥٢٣ / ج ٣/ ١٩ .

(٤) مصنف أبي شيبة رقم (١٢١٩٣) ج ١٢/ ٨٦ .

ويقول عليه السلام : « ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً »[١] .

ثانياً ـ الإعداد للنفير (الاحتياط) ويشمل :

ـ تدريب الأفراد ـ إعداد الكوادر

ـ التدريب علىٰ استدعاء الاحتياط وتنفيذ المهام .

أ ـ إن تدريب الأفراد بعد تأدية الخدمة الإلزامية وتعبئتهم في وحدات مقاتلة يمارسون فيها تمارينهم علىٰ استخدام الأسلحة وعلى الأعمال القتالية في أوقات محدودة دورياً (كل أسبوعين ـ شهر ـ ستة أشهر ـ سنة) ، هو من الأمور الأساسية في الوصول إلىٰ استعداد قتالي عالٍ ، وجاهزية كاملة للأعمال الجهادية ، لأن الجيوش النظامية نادراً ما تكفي لتنفيذ المهام القتالية ، فضلاً عما تشكِّله من أعباء مالية ، وامتصاص لقوة الشعب العاملة ، وتأخر في اقتصاد البلد . لكن الاحتياط المدرَّب الذي تعبأ في وَحَدات هو الرديف ، وهو الدم الجاهز الذي يُقدَّم أثناء العمل الجراحي ، وعليه ، فتزداد قيمة الاحتياط وجدواه وفعاليته بقَدْر التصاقه بالسلاح وبالوحدة المعبَّأ بها .

ب ـ إن الكوادر المؤهَّلة التي تقوم بتدريب الاحتياط ، وإعداد مناهج خاصة تشمل : ـ أي المناهج ـ التدريب علىٰ جميع الصنوف ، ونقل ما توصل إليه العلم من تطور في الأسلحة والمعدات ، ودور هذه الأسلحة في أعمال التعاون بين الصنوف ، وتبيين الصفات والخصائص الفنية والتعبوية بها .

هذه الكوادر يجب أن تكون علىٰ مستوىٰ المسؤولية من العلم والخبرة والحماس الكافية لرفع مستوىٰ أفراد الاحتياط ، وحفظ أسلحتهم ومعداتهم

---

(١) أعلام الموقعين ٣٨٦٤ ، وصحيح البخاري ٢٨٩٩ . .

وسجلاتهم جاهزة . وهكذا تُشكل قِطْعات قتالية احتياطية جاهزة (بكوادرها) ومستعدة حال استدعائها للتحرك ولتنفيذ المهام .

ج ـ إن أسلوب استدعاء النفير يتم بوسائل الإعلام المختلفة ، وباستخدام الرموز (الشيفرة) وبشكل سري وبعيد عن أعين العدو وهكذا يتم تأمين تشكيل وَحَدات قتالية متناسقة وجاهزة بوقت قصير ، وقادرة علىٰ تنفيذ المهام الموكولة إليها دون أن تتوقف الأعمال اليومية للمجتمع ، كل هذا يتعلق بارتباط الأفراد بالقضية التي يعملون لها ، ودرجة إيمانهم بها ، لذا فالمسلمون إذا سمعوا داعي الجهاد تنادوا دون تأخير ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ . . ﴾ [التوبة : ٣٨] . ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَـٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [التوبة : ٤١] .

ـ إن الخليفة الأول ـ الصديق ـ رضي الله عنه كان أول من أَعَدَّ قواعد النفير ، حيث عَيَّن القادةَ للتشكيلات وعين معاونيهم ، وأرسل الكوادر الاحتياطية ، وطلب منهم استدعاء وَحَداتهم . حيث فاجأ المرتدين في حروب الردة بدعوة أحد عشر لواءاً ، وأسند إليهم مهام ، وبذلك قضىٰ علىٰ فتنة المرتدين .

وكذلك عين قادة أربعة جيوش مع كوادرها وأرسلهم بمهام لفتح الشام ووزَّعهم علىٰ مناطق مختلفة ، وصار يزوِّدهم بالأفراد (الاحتياطيين) علىٰ مدىٰ أربعة أشهر ، كانت التشكيلات والقادة علىٰ أرض قريبة من العدو ، بحيث لا تفقد التَّماس معه ، وبحيث تتعاون فيما بينها ، وتتعرف علىٰ الأرض التي ستقاتل عليها وعلى طبيعتها ، وعلى الأنواء الجوية التي ستعيشها ، وعلى طرق الإمداد وأماكنها ، وتتعرف علىٰ العدو وطبيعته ، وتدريبه وقادته ، وتشكيلاته وترتيبات قتاله ، وتسليحه ، والجِوار، وعلى باقي الأمور ، إلىٰ أن تم الاستعداد ، وحان وقت المعركة ، فأرسل لها قائداً

عاماً يقودها بعد أن استكملت استعدادها وتدريبها ، هذا القائد هو خالد بن الوليد ،لقد جاء في رسالة الصِّديق رضي الله عنه إليه ما مفاده ومعناه :

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عتيق ابن أبي قحافة[1] إلىٰ خالد بن الوليد السلام عليك ، أحمد الله الذي لا إله إلا هو ، وأصلي علىٰ نبيه محمد عليه الصلاة والسلام : سِرْ حتىٰ تصل جموع المسلمين في بلاد الشام وإني أُعَيِّنُك علىٰ جموع المسلمين وآمرك أن تقاتل الروم ، وأنت القائد علىٰ أبي عبيدة ومن معه ، واذهب بسرعة يا أبا سليمان وأتمم عملك بمعونة الله جل شأنه ، واقسم جيشك إلىٰ قسمين ، ودَعْ النصف مع المُثَنَّىٰ الذي سيخلُفك في العراق . فإذا فتح الله عليكم في الشام ، فارجع إلىٰ عملك في العراق ولا يَدْخُلنَّكَ عُجْبٌ فَتخسرَ وتذل ، وإياك أن تتباطأ بعملك ، فإن الله عز وجل له المَنُّ وهو ولي الجزاء » . كان الخليفة قد عاد من الحج ، ودعا إلىٰ حمل السلاح من أجل فتح بلاد الشام ولبىٰ دعوته المحاربون من جميع القبائل الإسلامية: (عُمان واليَمَن وأنحاء الجزيرة العربية) ، جاؤوا راكبين ومسلَّحين ، وجلبوا معهم نساءهم وأطفالهم ، فاستُبعدَ من كان منهم قد ارتد ، وتم تعبئة القادرين علىٰ حمل السلاح ، ونُظمت القوةُ البشرية في أربعة ألوية ، كل لواء مكون من سبعة آلاف رجل وأمَّر عليهم كل من يزيد بن أبي سفيان ، عمرو بن العاص ، شُرَحبِيل بن حسنة ، أبي عبيدة بن الجراح ، هذا قبل مجيء خالد بن الوليد.

لقد كانت دقة استدعاء الاحتياط وانتظامه مفخرة للأمة الإسلامية .

ثالثاً ـ الإعداد السياسي والعقائدي :

ـ يحسبُ ميزان التفوق بالقُوىٰ علىٰ أساس عَدَد القوات مضروباً بالإمكانات + القيادة لكل طَرف ، فأيهما كانت لديه المحصلة أكبر كان له

(١) ابن أبي قحافة هو أبو بكر سماه رسول الله ﷺ عتيق .

التفوق أي (عدد القوات × مستوى التأهيل والتدريب × مستوى التسليح × القيمة المعنوية التي يتمتع بها المقاتلون ومدى الانضباط) ففي أي الطرفين كان الميزان أرجح كانت الغلبة . ولكنْ في جيش المسلمين هذه العوامل لا تعني إلا الشيء اليسير في الميزان : بل إن صحة العقيدة والتمسك بها والإيمان بها والفداء لأجلها هي المرجح ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة : ٢٤٩ـ٢٥١] .

ولم يسجَّل في تاريخ الجهاد للدعوة أنه حصل توازن ، أو أن التوازن كان لصالح العدو بشكل معقول ، ولكن المسلمون كانوا دوماً قلة ، وبوعد الله تَحصُلُ الغَلَبة لهم ﴿ وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞ﴾ [آل عمران : ١٢٣] .

﴿ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال : ٦٥ـ٦٦] .

وهكذا فميزان القُوىٰ بين المسلمين والكافرين يتراوح بين (١ـ٢٠) و (١ـ٢) حسب درجة الإيمان وصدق التوكل علىٰ الله ، والرسول الكريم ﷺ يقول : « ولن تغلب اثنىٰ عشر ألفاً من قلة »[1] فأي ميزان هذا الذي يَعمل به المؤمن ؟ .

إن الإعداد السياسي والمعنوي يعني أن يثق المجاهد أنه في طاعة الله ، وأن عليه أن يحافظ علىٰ صلته بالله ، لذا ، فهو أخشىٰ ما يخشىٰ ذنوبَه ولا

---

(١) سنن الترمذي رقم ١٥٥٥ ج٤ ص ١٢٥ من حديث: خير الصحابة أربع وخير السرايا أربعمائة وخير الجيوش أربعة.

يخشىٰ العدو لأن « المعاصي بريد الكفر » ، وهذا ما كان الخليفة الراشد عمر بن الخطاب يوجه إليه عندما يرسل الجيش قائلاً : « واعلموا أنكم لن تُنصروا إلا بذنوب أعدائكم فإن تساويتم في الذنوب كانت الغلبة لهم ، لأنهم الأكثر ». وهكذا فالمؤمن بإخلاصه لله يستحق تأييد الله ونصره . ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ . . ﴾ [الأنفال : ٥] ويرىٰ الملأ الأعلىٰ معه (الملائكة) تشد أزره ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ [الأنفال : ٩] . ويشعر المجاهد أنه ليس بينه وبين الجنة إلا أن يُقتل ، فقد سقط الحجاب وبانت له الجنة ، فهذا يقول : «أشم رائحة الجنة» وآخر يقول : « بَخٍ . . بَخٍ إنها لحياة طويلة إذا بقيت لآكل هذه التمرات ، فألقاها وتقدم . . .

إن إعدادَ المجاهد العقائدي ، هو تأمينٌ علىٰ مستقبَل عياله بعد أن رأىٰ مستقبله فهم من بعده بكفالة الله .

والقوة المعنوية المحرِّكَة للمجاهد تجعله منسجماً مع الهدف الذي جاء به إلىٰ الدنيا أولاً وهو تحقيق العبودية لله ، والشهادة في سبيله وهو بمجرد أن بايع ونطق بالشهادتين وتحرك لتنفيذ أمر الله ، بدأت تُسجل له الحسنات ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ﴾ [التوبة : ١٢٠] .

إن الإيمان هو المحرِّك لدقَّة العمليات ، والقادرُ علىٰ التعويض عن النقص المادي بالقُوىٰ والوسائط ، وعلى التغلب علىٰ الصعاب ، والقادر علىٰ جعْل القتال فناً ، ومن دونه يصبح مهنة وتكتيكاً .

لقد أرفد الخلفة الأول أبو بكر الصديق القائد خالد بن الوليد عندما طلب منه أن يعزره ، بقوات رفده بصحابي واحد هو القعقاع بن عَمْرو[1] (واحد منهم بألف) والحال عند أعداء الله (ألفٍ كأفْ) .

---

(١) الطبري ج٢ / ٥٥٤ وقال فيه : لا يهزم جيش فيه مثل هذا .

رابعاً ـ استخدام الأسلحة :

إن التقدم العلمي يسير جنباً إلىٰ جنب مع تطور الأسلحة ، ويمكن عَدُّ الحرب الحديثة سبباً لتطور الأسلحة ، كما أن استخدام الأسلحة ينم عن مدىٰ التطور والمستوىٰ العلمي الذي وصلت إليه الأمة .

لقد استخدم المسلمون السيوف ، وكانوا صانعيها واشتهرت بلدان كثيرة بصناعتها (كاليَمانية والبَصْرية والدمشقية) حَسْبَ المدن التي صُنعت فيها .

وإحكام العمل بالسلاح لا يتساوىٰ فيه الناس ، ويتفاوتون فيه حسب المستوىٰ العلمي ، ودرجة التمرين ، والقوة البدنية .

كذلك استخدم المسلمون الرماح ، واختص بحمله الفرسان ، وحضَّ الإسلام علىٰ استخدامه والتدرب عليه : « إن الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة : صانعهُ ـ يحتسب في صنعته الخير ـ والرامي له ، والمُمِدُّ به »[1] . واستخدموا القِسِيَّ : وهي أعواد من الخشب مقوَّسة تُثبَّت عليها أوتار ، ترمىٰ بها السهام ، ولما حاصر المسلمون الطائف ، استخدموا (المنجنيق) بعد أن استخدموه في معركة الخندق بتعليم من سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه .

ولقد استخدم المسلمون الدبابات التي تتسع لعشرة أشخاص ، بعد أن طَوروها لحصار القلاع والحصون[2] ، واستخدم سيدنا خالد بن الوليد سلالم الحصار في فتح دمشق ، حيث كانت تصنع من الحبال ثم تطورت لتصنع من الخشب والحبال ، ولها خطافات[3] يسهل تعلقها بحجارة السور ، وكان

---

(١) سنن أبي داود ٢٥٢٣ ج ٣ .

(٢) جاء في (الطبري ٣/ ٨١): «ولم يشهد حُنيناً ولا حصار الطائف عروة بن مسعود ولا غيْلان بن سلمة ، كانا بِجُرَش [وهي من مخاليف اليمن] يتعلَّمان صنعة الدبابات والضُّبُور والمناجيق» ، وهذا يدل على أهمية صناعة معدّات الحصار التي كانت متقدمة في اليمن .

(٣) سيف الله ٤٠٥ . الجنرال آ . أكرم.

البحث العلمي ، والتجسسُ علىٰ استعدادات العدو رائدهم في تطوير الأسلحة ، حيث أدخل المسلمون كثيراً من التحسينات علىٰ النار اليونانية (آلة من النحاس ، تقذف النفط وهو يحترق بشكل مستقيم وعلىٰ شكل أسطواني ، لها ذيول من خلفها مثل الحراب)[1] .

كما أن الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام كان أول من استخدم الحَسك الشائك عند حصار الطائف (يسد مسد الألغام والأسلاك الشائكة) .

ـ والمسلمون المغاربة أول من اخترع الأسلحة النارية في حرب سرقوسة[2] عام ٥١٢ هـ .

ـ إن الأسلحة المستخدمة حديثاً ليس المسلمون بعيدين عنها بل هم قادرون علىٰ استخدامها بتفوُّق ، لأنهم ليسوا بعيدين عن العلم والتكنولوجيا ، ودليل ذلك التفوق الذي حققوه في حرب رمضان علىٰ العدو . فالجيش الذي رفع راية (الله أكبر) ، ونادىٰ بها علىٰ ضفة(القنال) قد أدهش العالم وهو يحطم خط ما يسمىٰ (بارليف وتحصينات القناة) التي صنعتها أحدث الوسائل العلمية ، وأرادت لها أن تكون مستحيلة الاجتياز ، قد دكها جيش(الله أكبر) بما أعده لتدميرها من فكر علمي ، وبحث دام سنوات ، فقضي علىٰ أسطورة التفوق الاستراتيجي والجيش الذي لا يُقهر ، وسرعان ما امتصت وسائل الغرب هذه القفزة وحاصرتها . ومثلها شعور الغرب وذيوله أن نظام العراق يملك القدرة الذاتية للدفاع عن حقوقه ، وخوفه أن يعود لرفع راية (الله أكبر) فيكون السلاح والعقيدة معاً كارثة علىٰ ما يبنيه من همجية القرن العشرين .

---

(١) التمدن الإسلامي ١/ ١٧٩ .

(٢) قال العلامة التونسي عثمان كفاك في محاضرة ألقاها علىٰ المسرح العسكري بدمشق كانون الأول ١٩٦٢ إن المسلمين عرفوا البارود في عهد هارون الرشيد الذي وعد بعض الأسرىٰ الصينيين بإطلاق سراحهم إذا كشفوا له سر صناعة البارود فقاموا بذلك .

- كذلك في أفغانستان ، شعرت القوة العظمىٰ التي أَذلَّت المسلمين ردحاً من الزمن أنها لا قبل لها بجيش (الله أكبر) وهو يستخدم الأسلحة التقليدية بكفاءة عالية ، وهكذا سقط النظام الذي كان يملك أفتك الأسلحة . إن الأمة الإسلامية لا ينقصها تسليح أو تدريب ، ولكن تنتظر مُنَظِّرين لا ليرسموا لها الطريق ، أو يبينوا لها الهدف ، ولكن ليضعوا أقدامهم على أول الطريق وتسير وراءهم بعزيمة تُعيد ما انقطع من وصل الأبناء بالآباء ، وإن يوماً لناظره قريب .

خامساً - استخدام الاستطلاع :

تشمل هذه الوسائلُ المراقبَة بالنظر ، وبالأقمار والصور الجوية ، ووسائل التنصت ، واستخدام العملاء والعيون ، واستخدام أبناء البلاد والدبلوماسيين وجميع وسائل التجسس ، وغايتُها التعرفُ علىٰ العدو ونشاطه وتدريبه وتسليحه ، ونواياه وكل ما يمت له والمتعاونين معه قَبلَ المعركة ، كما يشمل تحركات العدو ، وأعماله المتوقعة بعده ، واحتمالات هجومه ، وترتيب قتاله ، وهذا لا يمكن الحصول عليه إلا بالتَّماس الكامل معه .

إن من تدابير رسول الله ﷺ في الاستطلاع التعرف علىٰ الخصم : عدده ، تسليحه ، قيادته ، تواجده ، واحتياطاته ، ولهذا كان يرسل السرايا والعيون وتأتيه بالأخبار من مكة ، (عن طريق الذين لم يظهروا إسلامهم كَعَمّه العباس ، أو المؤيدين للدعوة) . كما أنه لم يقم بغزوة إلا كان يوري ويُمَوِّه وإذا عزم على الخروج خرج باتجاه مغاير للاتجاه المطلوب ، ولم يكن يعلن عن غايته إلا عندما يصل لأرض المعركة ، سوىٰ غزوة تبوك كونها بعيدةً وتحتاج إلى تحضيرات فقد أفصح عنها قبل مدة ليستعد الناس لها .

لقد أمر رسول الله ﷺ زيد بن ثابت الأنصاري أن يتعلم لغة اليهود ، كما كان يحرص علىٰ استجواب الأسرىٰ بنفسه ، والمسلمون لا يكتفون بما

تأتيهم به العيون من معلومات ، بل لا بد من تدقيق معلومات الاستطلاع بالذات ، كما فعل عمرو بن العاص حين دخل علىٰ حصن رومي منتحلاً صفة رسول قائد الجيش ، وقابل (أرطبون) قائد الروم . كما استخدم خالد ابن الوليد رجلاً من حمص اسمه أبو جعيد كلَّفه الإنضمام إلىٰ صفوف الروم ، وإشاعة الفوضىٰ في صفوفهم وإشاعة الأراجيف (الطابور الخامس) ، كذلك دخل ضرار بن الأزور إلىٰ معسكر الروم ، عاري الصدر يستطلع جيش الروم ، ويُغري مفرزة من الروم بمطاردته حتى انقض عليها بمناورة سريعة[1] .

(وفي الوقت الحاضر يتم إرسال دورية استطلاع أو خطف أسير لهذه المهمة . .) كما استخدم القائد الفذ صلاح الدين الأيوبي الكَشَّافة لاستطلاع سُوْر مدينة بيت المقدس لمعرفة النقاط الضعيفة فيه .

إن وسائط الكشف المبكر ، وأجهزة الاستطلاع والأقمار ـ بكل أشكالها ـ لم تستطع أن تؤمِّن لليهود في حرب رمضان الحماية من مفاجأة القوات المهاجمة : (المصرية ـ السورية) ولو أن تدابير هذه القوات لم تكن إسلامية وكان الإسلام فيها علىٰ مستوىٰ قسم من الأفراد ، فكيف لو كان الهجوم إسلامياً ليس إلا ! ؟ .

إن ما يكتبه الغرب واليهود عن استخباراتهما وعن تهويل شأنهما في قلوب أمتنا ، ليس إلا لإضعاف روح القتال عند المسلمين ، وإدخال اليأس إلى قلوبهم وإيصالهم إلى مرحلة الإحباط ، علماً بأن كل استخبارات حِلْف الأطلسي لم تستطع أن تُثْني عزيمة المجاهدين في البوسنة والهرسك عن التحرك ومواجهة قوىٰ البغي ، كذلك الأمر في استخبارات حلف وارسو (سابقاً) ـ الكمونويلث الروسي ـ لم تمنع المجاهدين في الشيشان من التحرك والتصدي للقوات الروسية ، وتمريغ سُمعتها بالوحل ، دونَ أن

---

(١) سيف الله ٣٦٨ ، الجنرال آ. أكرم . .

ينفعها تمويه تحرك وسرّيةٍ وكتمان عمليات ، بل إن استطلاع الشيشان كان بدرجة فعالية عالية حتى صار العدو يَحسِب لها ألف حساب .

سادساً ـ استخدام المناورة (الكرُّ والفرُّ) :

تعريف : يقال كرَّ الفارس إذا فرَّ للجَوَلانِ ثم عاد إلى القتال .

يقال فرَّ الفارس إذا أوسع الجَوَلان بالانعطاف .

لذا فنظام الكر والفر معناه أن يحمل المقاتلون علىٰ العدو بكل قوتهم فإذا انهزم أمَامهم طاردوه وانتهت المعركة ، أما إذا صمد ، وأحسوا هم بالضعف فإنهم ينسحبون إلى الخلف لينظموا صفوفهم ، ثم يُعيدوا هجومهم ثانية[١] .

قال رسول الله ﷺ لجيش مؤتة بعد عودته « ليسوا بالفُرَّار ولكنهم الكُرارُ إن شاء الله »[٢] .

أما المناورة فهي تعني تنفيذ ضربة بقوة ، في زمان ومكان غير متوقع ، أو نقطة أسقطها العدو من حسابه ، أو عدَّها مستحيلة ، إن هذه المناورة التي تحقِّق المفاجأة بالزمان أو بالمكان لا تتم إلا من مقاتل لا يصنع المصادفة ، ولكنه يستخدمها (يُعدُّها أو يجذبها) ويتقن استخدام الحَذَر والتدابير للاستفادة منها إن كانت مصادفاة واحدة أو عدة مصَادَفات ، حيث يقف (الخيالُ) في الصف الأول من الصفات التي تجعل المُقاتل قادراً علىٰ أن يعطي للمصادفة معناها ، ويحدد مكانها ويكون هو الموجّه للحركة في مجال المفاجأة . لقد استخدم خالد بن الوليد المفاجأة عندما ناور ضد المسلمين في معركة أُحُد حينما استفاد من تَرْك المسلمين مواقعهم .

لقد اعتمد القائد المسلم خالد بن الوليد في تحقيق مناوراته وتحركاته الناجحة علىٰ عاملين :

---

(١) الجندية في الدولة العباسية ، لنعمان ثابت ص ٢٣٥ـ٢٣٦ .

(٢) ابن هشام ٢/ ٣٨٢ .

١ـ النوعية القتالية للمسلمين.

٢ـ خفة حركة القوات .

وتكون المناورة بالزمان ، كالهجوم في وقت غير متوقع ليلاً ، أو خلال مفاوضات يُستخدم فيها التسويف (كما حصل في حرب رمضان عام ١٩٧٣ م) .

وتكون المناورة بالمكان ، كالهجوم من مِنطَقة غير متوقعة (كما فاجأ المشركون المسلمين في غزوة حُنين) . إذ ظهروا عليهم من خلف التلال والشمس في أعين المسلمين يضربونهم بالنِّبال . وكذا في حروب الردة (معركة حديقة الموت) حيث تسلق أحد الصحابة الجدار وقفز إلىٰ الحديقة وفاجأ جيش المرتدين ، وبقي يقاتل حتىٰ استطاع الوصول إلىٰ الباب وفَتَحَهُ ودخل الجيش قضى علىٰ الفتنة [1] .

كما فاجأ خالد بن الوليد الروم بمعركة اليرموك بترتيب قتال (الكراديس) الذي يعرفه الروم ولم يتوقعوا أن يستخدمه المسلمون .

ـ إن المفاجأة باستخدام سلاح حديث في المعركة أمر غير متوقع : كاستخدام المسلمين النار اليونانية في معركة المنصورة ضد الصليبيين ، جاء في كتاب « ذكريات الحروب الصليبية » للفارس الفرنسي دي جوانفيل يصف ما حدث بقوله : ذات ليلة ، بينما كنا نحرس الأبراج ، حدث أن المسلمين أحضروا آلةٌ لم تستعمل سابقاً ، ثم قذفوا منها بشيء ملأ قلوبنا بالدهشة والرعب ، نار مستقيمةٌ كأنها اسطوانة كبيرة ولها ذيول من خلفها مثل الحِراب الطويلة ، ودويُّها يشبه الرعد، كأنها جارحٌ يشق الهواء ، ولها نور ساطع جداً من جراء عظيم انتشار اللهب الذي يُحدِث الضوء ، حتىٰ أنك ترىٰ كل ما في المعسكر كما لو كان في وضح النهار ، وقد رمىٰ

---

(١) حمل المسلمون البراء بن مالك ووضعوه علىٰ حائط حديقة مسيلمة ، وقفز إلىٰ داخل الحديقة ، وتمكن من قتل ٢ـ٣ من المشركين الذين منعوه من الوصول إلى البوابة ، ثم فتح الباب سيف الله خالد بن الوليد ٢١٥ .

المسلمون علينا هذه النار في تلك الليلة ثلاث مرات ، وكان ملكنا القديس [لويس التاسع] ، كلما سمعهم يقذفون بالنار اليونانية ينهض من فراشه ، ويبسط يده إلىٰ منقذنا (الله) ويقول باكياً : أيها السيد الإله العظيم احفظ رجالي[١] .

كذلك فاجأ المصريون اليهود عام ١٩٧٣ والعالم كافة ، بسلاح (مضخات المياه) ، حيث انهارت لها تحصينات العدو علىٰ ضفة القناة ، والتي خُطط لها أن لا تنهار ، وسقط ما يسمىٰ (خط بارليف) كما تسقط أوراق الشجر ، هذه المناورة التي استخدموا لها سلاحاً أعدوه هم .

* * *

---

(١) كتاب معركة المنصورة ص ٧٤.



الفصل الخامس

المعركة الإسلامية

ويبحث في :

١ـ شريعة الحرب (عقيدة المعركة) .

٢ـ تحضيرات القتال .

٣ـ المعركة الهجومية .

٤ـ انتهاء القتال .

٥ـ القائد وسماته .

أولاً ـ شريعة الحرب : عقيدة القتال عند المسلمين :

إن عقيدة المسلمين في القتال أساسُها أن العدو ـ مهما بلغت قوته ـ لا يُؤبه له ، وإنما هو من تخويف الشيطان لأوليائه ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٧٥] ولكن القوة الحقيقية هي لله ، يؤيِّد بها عباده المؤمنين ﴿ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾ [البقرة : ١٦٥] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [محمد : ٧ـ٨] .

فمن الْتزم بشرع الله ، وصحت عقيدته بالله فله النصر ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ

يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة : ٢٤٩] ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ [آل عمران : ١٧٣] .

فالمسلم عليه الإعداد واتخاذ الأسباب كاملة ، وعليه أن يخاف إذا قَصَّر بها ، وبعد ذلك يبدأ عمله واثقاً بالنصر ثقته بالله الذي وعده ، لأن الله سيدير المعركة ، ويلهم القائد والجند العمل الصحيح ، ويَدعم المسلمين بالملائكة ، وَيرعب الكَفَرة ، ويضل أعمالهم ، ويحرك الأمور ـ وأمور الكون كلها بيده ـ لصالح النصر : ﴿إِذۡ أَنتُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ وَٱلرَّكۡبُ أَسۡفَلَ مِنكُمۡۚ وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ﴾ [الأنفال : ٤٢] ، ﴿إِذۡ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلٗاۖ وَلَوۡ أَرَىٰكَهُمۡ كَثِيرٗا لَّفَشِلۡتُمۡ وَلَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذۡ يُرِيكُمُوهُمۡ إِذِ ٱلۡتَقَيۡتُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِكُمۡ قَلِيلٗا وَيُقَلِّلُكُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِهِمۡ لِيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗاۗ﴾ [الأنفال : ٤٣-٤٤] ، ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡۖ﴾ [آل عمران : ١٥٤] ، ﴿إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ﴿١١﴾ إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ﴾ [الأنفال : ١١-١٢] ، لقد قام رسول الله ﷺ باتخاذ جميع الأسباب واستشار أصحابه ـ ومن اتخاذ الأسباب سؤال أهل العلم والخبرة ـ ﴿فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾ [الفرقان: ٥٩] ، واتخذ ترتيب القتال الملائم ، وقام بجولة تفقُّديّة علىٰ الوَحَدَات ، ووعد الشهداء بالجنة ثم وقف بالعريش يدعو الله : «يا رب ! إلا تَنْصُرْ هذه العصابة ، فلن تُعبد في الأرض . . يا رب نصرك الذي وعدت » ، وكان الصديق رضي الله عنه يرفع رداءه الذي سقط عنه ويقول : يا رسول الله بعض مناشَدَتِك ربَّك ، إن الله لا يخذلك [(١)] . لقد

(١) صحيح مسلم ١١٥٠٨ ص ٣١٠ باب الإمداد بالملائكة .

كان الرسول الكريم ﷺ يخاف أن يكون قد قَصَّر في اتخاذ الأسباب، وليس قلةَ ثقةٍ بالله.

في معركة اليرموك وبينما كان خالد يرتب الجند ويفتش بينهم، قال له رجل: «ما أكثر الروم وأقل المسلمين؟»، فقال خالد: بل ما أقل الروم وأكثر المسلمين، إنما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال، والله لوددت أن الأشقر براء من توجيه[1] وأنهم أُضعفوا العدد، بهذه الكلمات بَيَّن قائد المسلمين دوره في المعركة، إن عليه أن يقوم بما هو مطلوب منه، وهو إصلاح نعل حافر الحصان، وهذه أدق الأشياء التي يجب الإهتمام بها، ولكن العدو متروك أمر هزيمته لرب العالمين.!

والمسلم يعلم أن أجله محتوم، فلا يخاف من الموت سواء أكان في المعركة أو خارجها، ولكنه ينفِّذ بثقةٍ ما هو مطلوب منه، وموازين القوىٰ بيد ربنا، إذا وضع قوته في أحد الكفتين، طاشت الأخرىٰ.

والمسلم يعلم أن الجهاد عبادةٌ من أفضل العبادات، ولذا ففي تصرفاته كلها هو بين يدي الخالق، ينفذ تعليمات الآمر، ويعلم أن الْتزامه بالأوامر وتعاونه مع أقرانه مما يرضي الله.. وهكذا.

ثانياً ـ تحضيرات المعركة:

الدعوة إلىٰ الجهاد تبدأ بغَرس راية الحرب عند المسجد، ويدعو داعي الجهاد، فيتدفق المتطوِّعون، حيث لا يتخلف إلا معذور أو منافق ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا...﴾ [التوبة: ٣٨ـ٣٩] ثم تُشرح

---

(١) فرسه مصاب (بالوجا) أي يشتكي حافره.
سيوف أمية في الحرب والإدارة ص ٥٦ـ٥٧.

علىٰ المنابر الظروفُ العامة وحاجةُ الأمة التي تستلزم الجهاد . ثم يقوم قادة الجيش بتجميع وتدريب وتعبِئَة المتطوعين ، ومن ثَمَّ الازدلاف لأماكن التحشد ، ويقوم الحاكم بوداعهم إلى خارج المدينة « إن الأقدام التي تُعفَّر بالتراب في سبيل الله لن تصيبها نار جهنم »[1] .

ثم يُوصىٰ الجيشُ وأميرهُ من قبل الحاكم . لقد وصَّىٰ رسول الله ﷺ الأميرَ بقوله : « قاتل باسم الله ولا تتعدىٰ الحدود ، ولا تكن غادراً ولا تمثل بالقتلىٰ ولا تقتل النساء والأطفال ، ولا تقتل أهل الأديرة »[2] .

ثم يشق الجيشُ طريقه الخيَّالة في المقدمة ، وعلىٰ الجناحين النبَّالةُ ، ثم الرجَّالة بالخلف في صفوف كثيفة بنظام ، وأخيراً الجَمَّالة محملةً بالعُدَد والخِيام والعَتاد ، ثم المستوصفات ، ثم المَنجنيقات والعرادات ، في المؤخِّرة علىٰ الجِمال والبغال ، وإذا أقاموا في معسكر حفروا الخنادق ، ونصبوا الخيام ، وأقاموا الأسواق ، ويقوم أمير الجند يَؤُم الجميع في الصلاة ، مع أخذ الحيطة والحذر (صلاة الخوف) .

وتَثْبُت مفارز للرصد والحراسة ، وغيرها لمنع مباغتة العدو ، وتوضع الخطط لملاقاة العدو استناداً إلى دراسة الأرض والعدو .

يُرْسَل الكَشَّافة لاستطلاع معسكر الأعداء ، وتحديد قوامه وتسليحه ، ومعنوياته وتدريبه دون أن يتم أي اشتباك معه . وقبل المعركة يقوم القائد بجولة تَفقُّدية علىٰ الوحَدَات ويتكلم مع قادة الوَحَدات الصغيرة والجنود يقول فيها : «أيها المسلمون إن أعداء الله أمامكم قد استعدوا ودفعوا بكل قوتهم ، فإذا هزمهم الله علىٰ أيديكم ، فلن تقم لهم قائمة ، فاثبتوا في المعركة ودافعوا عن دينكم ، وإياكم أن تولوا الأدبار ، لأن مَن يولي الأدبار فجزاؤه

---

(١) كتاب الخراج أبو يوسف ١٩ .

(٢) فتوح الشام للواقدي ج / ٤ .

جهنم، كونوا يقظين وصامدين في صفوفكم ولا تهاجموا إلا بأمري)[1] .

في فتح دمشق نظَّم خالد بن الوليد هيئةً عسكرية هي بداية ما يسمىٰ بـ (هيئة أركان) حيث جمع من الرجال، الأذكياء واللامعين، في المناطق التي حارب فيها، وجعلهم كهيئةٍ استشارية فيما يتعلق بالاستخبارات، فكانت تُجْمِّع المعلومات، وتنظِّم ارسال واستجواب العملاء، وتجعل القائد علىٰ عِلْم دائم بآخر تطوُّرات الموقف العسكري، وهكذا: القائد لا ينام ولا يُنيم، ولا يخفىٰ عليه شيء» .

ـ توزَّع الواجبات أو المَهام علىٰ القادة، وهذه قابلة للتعديل والتبديل في كل لحظة، ثم يقوم القائد بإعطاء الأمر إلى قواته بالهجوم وخوض المعركة حسب الخطة .

وعاملُ المباغتة له دور كبير، حيث يُقْسَم الجيش إلىٰ أقسام، أحدُ الأقسام يقاتِل والآخر يختبىء، حتىٰ إذا شعر المقاتلون بالتعب، ينزل القسم المختبىء إلىٰ المعركة .

والقائد له السيطرة في كل لحظة عن طريق الصوت والراية: (هَزّ الراية) . كما أن (الخدعة) أساس للوصول إلى النصر بأقل خسارة ووضع العدو في حالة الإحباط فيستسلم ويحقن دمه و« الحرب خدعة »[2] و« رب حيلة أنفع من قبيلة » كاصطناع الهزيمة، أو الفرار أو الهجوم الليلي، وغير ذلك من خُدع الحرب .

ـ كما أن اتخاذ الحذر أساسي فالمؤمن، « كَيِّسٌ فطنٌ حَذِر »[3] حيث تُجعل الصحراء خلف القوات كملجأ عند اللزوم، أو كإحراق السفن لمنع التفكير بالهرب .

---

(١) المغازي، الواقدي ٣٥ .
(٢) صحيح مسلم رقم ١٧٤ ج٣ / ١٣٦٢ .
(٣) الجامع الصغير ٩١٥٨ .

أمور يجب مراعاتها قبل الحرب وأثناءها .

- يجب العناية بأمراء الجيش الإسلامي وقيادته الدينية والثقافية والعسكرية وتوفير حقوقهم المادية وتطهير الجيش من الفساد كلما ظهر ذلك .

- الفرار من الزحف من الكبائر وكذلك التعامل مع العدو والخيانة وعقوبتهما يحددهما القائد أو أمير الجيش ؟ .

- عدم قتال غير المقاتلين .

- عدم قتل النساء والأطفال والرهبان والزَّمْنَىٰ[1] والشيوخ والأُجراء وأهل الذمة .

- يمكن استخدام الخدعة والتضليل بالحرب ولكن بدون غدر أو نقض للعهد .

- الحذر من جواسيس العدو .

- العناية بمرضىٰ وجرحىٰ المسلمين وموتاهم ، أبو بكر ليزيد بن أبي سفيان : « ولا تقاتل بمجروح فإن بعضه ليس منه . . »[2] .

- عدم خروج المرأة الشابة للقتال .

- منع الإرجاف والتخذيل .

- عدم الخروج من معسكر المجاهدين بدون إذن الأمير .

- الكف عن قتال مَن أظهر الإسلام .

- عدم إفساد الأموال الخاصة .

- عدم قتل الأعداء بالنار ، أو التمثيل بهم سوىٰ القِصاص .

---

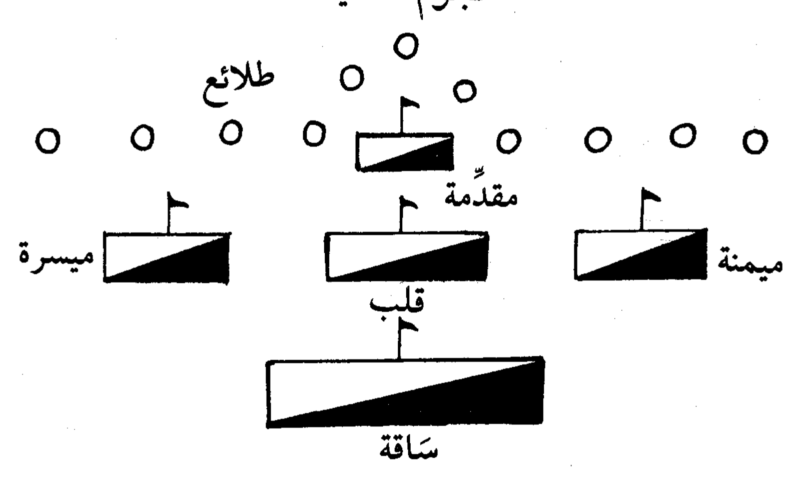
(١) الزمانة : العاهة ، البليّة .

(٢) كتاب عيون الأخبار : ١/١٠٨ .

ثالثاً ـ المعركة الهجومية :

هناك شجاعة أصعب من غيرها ، هي في اتخاذ القرار بالهجوم ، وتنكُّب المسؤوليات ، لقد كان الصدِّيق ـ الخليفة الأول ـ في قمة شجاعته يوم اتخذ القرار بِبَعْث جيش أسامة ، وكذلك يوم اتخذ القرار بحرب المرتدين ، حيث غير مجرىٰ التاريخ ، وثبَّت دعائم الدولة الإسلامية التي صار أمرها إلىٰ زوال لولا هذا القرار ، ولا بد لأي حرب من أن يكون قبْلَها دعوة وإعلام ، وهكذا فإذا ظهر العدو أمَرَ القَائدُ بقرع الطبول ، لأخذ الحذر ، وبَثِّ الحماس ، وإعلاء صوت (الله أكبر) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾ [الأنفال : ٤٥] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ﴾ [الصف : ٤] والهجوم يكون بالمواجهة علىٰ نسق صف أو صفين أو ثلاثة كصفوف الصلاة. . حاملوا النِّبال أولاً ثم الرماح ثم السيوف وعلىٰ المَيمَنة والمَيْسرة الفرسان ، وتزحف الصفوف ، ثم تطوَّر الصفُّ إلىٰ (كراديس) ليتم السيطرة علىٰ العدد الكبير ، وفي الجيش المسلم يرتبط الجندي بالقائد الأعلى عن طريق تسلسل القيادة ، ثم نظام (الانفتاحات) بأشكال مختلفة .

ـ صورة لإحدىٰ تراتيب القتال للقوات الإسلامية المهاجمة



ـ ففي جيش (القادسية) كان في الصف الأول الفرسانُ ، وفي الثاني الرَّجَّالة أصحاب السيوف والرماح ، وفي الثالث الرماةُ [١] .

أما في معركة اليرموك فكان الخيالة علىٰ المجنبات .

وتستخدم الخيالة : للإستطلاع والريادة ومهاجمة خيالة العدو ومنعها من تطويق الصديق ـ ومهاجمة صفوف العدو مع المشاة ـ تطويق القوات المعادية ـ مطاردة فلول العدو المنسحبة .

أما المشاة إذا توقعوا هجوم العدو جثوا علىٰ الركب علىٰ شكل مربعات شاهري الرماح واضعين الدرع علىٰ الأرض :

إن لكل معركة خصائصها وتكتيكها ولكن القيادة الناجحة لها في كل معركة أسلوبها وخططها ، إن استعراض العضلات والخيلاء والفخر والازدراء بالعدو مطلوب في هذا المقام « تلك مشية يبغضها الله ورسوله إلا في هذا الموطن »[٢] .

يبدأ القتال بمبارزة بين بعض من أبطال المسلمين مع بعض من قادة العدو ، حيث يحرز المسلمون التفوق ، ويتم قتل أكبر عدد من قادته ، وبهذا تَقِل فعَّالية الجيش المعادي ، بينما المبارزات مستمرة وينقضي النهار بأمر القائد بشَنِّ هجوم عام ، وتتحرك صفوف المسلمين إلى الأمام وتنقض علىٰ جيش العدو ، وتدور المعارك بالسيوف (السلاح الأبيض) ، وتجري المناورة والالتفاف علىٰ مَجْنَبات الجيش المعادي ، أو يستمر القتال بين

---

(١) تاريخ العرب والتمدن الإسلامي ـ سيد أمير علي .

(٢) قال رسول الله ﷺ : « من يأخذ هذا السيف بحقه؟ فقام إليه رجال فأمسكه عنهم حتى قال إليه أبو دجانة سماك بن خرشة أخو بني ساعدة . فقال: وما حقه يا رسول الله ؟ قال أن تضرب به حتىٰ ينكسر ، فأخذه أبو دجانة ووضع عصابة علىٰ رأسه ، وأخذ يقول شعراً ويتبختر فقال عليه السلام: تلك مشية يبغضها الله ورسوله إلا في هذا الموطن » . . .

الجانبين علىٰ مسافة قريبة بشكل عنيف ، وصوت (الله أكبر) يزمجر عالياً وما هي إلا ساعات حتىٰ يلوذ العدو بالفرار تاركاً أشلاءَ متناثِرة ، (إن الحرب الخاطفة هي من شيمة الجيش المسلم ، لأنها تحقق الهدف بأقل خسارة) .

ثم يمكث في أرض المعركة بعد اندحار العدو .

رابعاً ـ انتهاء الحرب (المعركة) :

كما أنه لا يجوز لأمير الجيش المسلم أن يهاجم أعداءه قبل إعذارهم ، كذلك فإن الحرب تنتهي إذا انتهىٰ العدو عن القتال ﴿ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [البقرة : ١٩٣] كذلك يمكن قبول الصلح إذا أبدىٰ العدو رغبته بذلك ، حتىٰ ولو كان يقصد منه الكيد والخديعة ، لأن الله هو الكفيل بِرَدِّ كيده في نحره ﴿ ۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال : ٦١-٦٢] علىٰ أن الفقهاء أجازوا قتال الكفار مُقْبِلين أو مُدْبِرين ، علىٰ اعتبار أن انسحاب العدو يُعدُّ مرحلة من مراحل القتال ، وليس تسليماً أو مَطْلَباً للصلح .

وقف القتال وإقرار السلام:

ويتم هذا بزوال أسبابه وهي :

١ـ دخول أعداء الله (المحاربين) بالإسلام ﴿ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَـٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ ﴾ [الفتح :١٦] ، حيث يصيروا من جملة المسلمين بالحقوق والواجبات فيعصموا دمائهم وأموالهم . ولا يجوز محاسبتهم عما مضى (لأن الإسلام يجب ما قبله).

٢ـ قبول دفع الجزية ودخول أعداء الله في ذمة المسلمين وخضوعهم للحكم الإسلامي (الحصول على جنسية الدولة المسلمة) حيث يوقف القتال

ضدهم ويحرم الإنتقام منهم أو مطالبتهم بالتعويض عن أضرار الحرب ومفهوم الذمة هو أنهم أمانة في بلاد الإسلام عليهم حمايتهم العامة والخاصة، يقول عليه الصلاة والسلام: «من قتل معاهداً لم يُرح رائحة الجنة»(١) . والجزية تعقد لجميع الكفار إلا العرب الذين لا يدينون باليهودية أو النصرانية أو المجوسية) لقول الرسول الكريم ﷺ: «لا يقبل من مشركي العرب إلا الإسلام أو السيف»(٢)

٣ـ عند المعاهدات: الهدنة ـ أو الصلح أو الموادعة: وهي تعني ترك القتال مدة معينة (يجوز تمديدها حسب المصلحة) بعوض أو غيره والميزان في ذلك ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ [محمد: ٣٥]، ويحرم الغدر بالعدو ما دام عقد الأمان أو المعاهدة ساري المفعول كما يجوز عقد الأمان للأفراد من أهل الحرب «فذمة المسلمين واحدة فمن أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»(٣) .

معاملة العدو المهزوم: لا يجوز التفاخر بالنصر بل يجب التمسُّك بمفاهيم العدالة كسْباً للقلوب ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١] لأن النصر من الله، وليس الإنسان صانعاً له، لذا فلا يحق له التبجح به ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٢٦] ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٠] .

ـ ويعطى الأمان لغير المقاتلين أما بالنسبة إلى الأسرى فبحسب الموقف:

ـ إما القتْل ـ إذا كان المسلمون في موقف ضعْف ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا﴾ [الأنفال: ٦٧] . وخاصة لمن ارتكب جرائم حرب .

---

(١) مشكاة المصابيح ٢٤٥٢ .

(٢) فتح القدير لابن الهمام ٦/ ٤٩ .

(٣) صحيح البخاري ١٨٧٠ .

ـ وإما المن والفداء في حالة القوة والتمكين في هذه الحالة : ﴿ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ﴾ [محمد : ٤] فالمَنُّ إطلاق سراح الأسير من دون شيء ، والفداء إطلاق سراحه بمقابل أو بمبادلة .

ـ أو إجراء الرّق عليهم ، وفي هذه الحالة : ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ ﴾ [التوبة : ٥] أو ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ ﴾ [التوبة : ١١] .

ويقول عليه الصلاة والسلام في معاملتهم : « إخوانكم خَوَلُكم ، جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فَلْيطعمه مما يأكل ، ولْيُلْبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم فوق طاقتهم ، وإن كلّفْتموهم فأعينوهم »(١) . والرِّق والأَسْر له أحكام خاصة في الفقه ، كما يمكن عدُّ فِداء الأسرىٰ تعليمُ المسلمين أو أبنائهم العلوم العامَّة والعصرية . وقد حرم الإسلام القتل بُغْية الحصول علىٰ الغنائم فقط . أما إذا حصلت الغنائم بسبب الجهاد في سبيل الله فلا بأس .

ـ وما يكسبه المسلمون بالحرب :

أ ـ **الفيء** : وهو ما يكسبه المسلمون من دون قتال ، فيدخل بيتَ مال المسلمين . . ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ الحشر : ٧] .

ب ـ **الغنائم** : أموال منقولة (تؤخذ بعد انتصار الحرب) توزع علىٰ المجاهدين بنسبة ٤/٥ ، ولبيت مال المسلمين ١/٥ ، وأموال غير منقولة كالأراضي ، وهذه تترك لعمالها ، ويوضع عليها الخراج ، لتكون في أعطيات المسلمين . وتضرب الجزية علىٰ أهل البلاد المفتوحة ، كل ذلك حَسْب قوانين العدالة الإلهية ، وذلك مما يسمح بإيجاد مجتمع التعاون والمحبة والخير .

---

(١) مشكاة المصابيح ٣٣٤٥ ص ١٠٠٠ باب النفقات وحق المملوك متفق عليه .

ـ وإذا أعطىٰ المسلمون عهداً، فهُم عند عهدهم ﴿ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ﴾ [الإسراء : ٣٤] جاء في كتاب الصلح الذي وقعه خالد بن الوليد لأهل عانات (صالحهم علىٰ أن لا يهدم لهم بَيْعة ولا كنيسة، وعلىٰ أن يضربوا بنواقيسهم في أية ساعة شاؤوا من ليل أو نهار، إلا في أوقات صلاة المسلمين، وعلىٰ أن يُخرجوا الصُلْبان في أعيادهم)[١] . وقد أجارت امرأة رجلاً مهدور الدم في فَتح مكة فقال عليه السلام : « أجرنا من أجرت يا أم هانىء »[٢]. وهذا يعني أن المرأة المسلمة تجير كما يجير الرجل سواء بسواء.

ـ ويتقيد المسلمون في حربهم المقدسة التي تدخل في صنف العبادات بأمور :

أ ـ قَصْر الحرب علىٰ الرجال المحاربين فقط، وتأمين من طلب الأمان من المحاربين لسماع كلام الله .

ب ـ منع النهب (إن النهب ليس أحل من الميتة) .

ج ـ تحريم التمثيل بالقتلىٰ « لا أُمثِّل بهم فأخاف أن يُمَثِّل بي ـ ولو كنت نبياً ـ »[٣] .

د ـ عدم إنزال المحاربين علىٰ ذمة الله ورسوله، ولكن علىٰ حكم الله ورسوله، لأن ذمة الله ورسوله صعبة الإدراك ولكن حكم الله ورسوله يمكن إدراكه.

هـ ـ تحريم إتلاف الأموال وتجويع الأعداء، ودعوة مَن أسلم من المحاربين للهجرة إلى بلاد الإسلام .

و ـ الرفق بالأسير، والمنُّ عليه إن رأىٰ الإمام ذلك .

---

(١) فتوح البلدان ـ البلاذري ص ١٢٨ .
(٢) صحيح البخاري ٣٥٧ وصحيح مسلم ٣٣٦ ج ٤٤٨ .
(٣) أعلام الموقعين ٣٩٧٧ .

ز ـ لا بد من إظهار التجلد للعدو ولو أحرز انتصاراً ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ﴾ [آل عمران : ١٣٩] .

ح ـ الإقامة بأرض المعركة بعد النصر لإشعار العدو بالهزيمة .

ط ـ دفن شهداء المسلمين في مصارعهم ، ودفن الأعداء ، وعدم التمثيل بهم .

ي ـ التبشير بالنصر أو الفتح وإرسال البشير بالنصر والفتح إلى عاصمة الخلافة الإسلامية .

ك ـ تشكيل مجلس إداري لإدارة البلاد المفتوحة ، بما يُظهر أخلاق المسلمين ، وجلْبُ الغنائم وتوزيعها بين المجاهدين وبيتِ مال المسلمين ، وتأمين أهل البلاد المفتوحة علىٰ أموالهم وأعراضهم وإقامة شعائرهم ، والحكم بينهم بشرع الله وبما يوافق العمل ، وإشعار أهل البلاد المفتوحة بالتكريم ، تأليفاً لقلوبهم .

ل ـ استقبالُ المجاهدين من قِبَل أهلِهم وأقوامهم والأمراء ، والترحيب بهم .

خامساً ـ الجيش الإسلامي وسماته :

كان رسول الله ﷺ يقود جنده بنفسه في كل غزواته ، وكانت مَهمَّته في تربية أصحابه وقيادتهم في المعركة من أركان الإسلام ، وجاء الخلفاء الراشدون من بعده ، فقاد الخليفة الأول أول معركة لطرد المرتدين خارج المدينة ، وعيَّن بعدها القائد العام لها ، وكذلك فعل باقي الخلفاء ، حيث كانوا يتركون للقائد تعيين المساعدين له ، ويبقىٰ الخليفة هو القائد الأعلىٰ ، وطاعتُه والولاء له من قائد الجيش وأفراد الجيش هي من طاعة أولي الأمر التي نص عليها القرآن ، والجميع ملتزمون بالولاء لقائد الأمة من خلال طاعة أمير الجيش ، وأما الولاء لأمير الجيش فهو ولاء لمرحلة

المعركة ، لأن لكل معركة قائدها ، وهذا القائد يتبدل فيخرج من الصفوف أو يعود بعد المعركة إلىٰ صفوف الجند ، والقيادة ليست حكراً على أحد ولكن الولاء الدائم لأمير المؤمنين ، ولذا فإن نفوس الجند لا تميل للرياء والنفاق مع القائد ، ولكنها مع الحق ، ومتىٰ تخلىٰ القائد عن القيادة ، لم يَعُد لأحد أن يواليه ولكنْ أخ في الله ، والأخوة الإسلامية في جيش المسلمين أساس ، لأنها تجمع المسلمين في دين الله ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات : ١٠] « والمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يسلمه »(١) ـ والمثل الأعلىٰ تجسَّد في الأخوة بين المهاجرين والأنصار ، حيث قاسم الأخ أخيه ماله ومتاعه وتخلىٰ له عن إحدى أزواجه يطلقها له ليتزوجها إن أراد وقبل .

ومن سمات الجيش المسلم التواصي بالحق وبالصبر ، إن المجاهدين في جيش الإسلام متواصين بالحق آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر ومتواصين بالصبر ، لأن الإيمان نصفه صبر علىٰ متاعب الدنيا ، ونصفه شكر ، والصبر في المعارك علىٰ الجوع والعطش والجروح وغيرها يحتاج إلىٰ مصابرَة من الإخوة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال : ٤٥] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ٢١] .

وجيش المسلمين أفراده متعاونون متكاتفون ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ [المائدة : ٢] «لا تباغضوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تقاطعوا ، ولا تدابروا ، وكونو عباد الله إخواناً»(٢) فلا حقد ولا حسد ، ولكنْ محبةٌ وتعاون ، وإذا حصل شيء من قبيل اختلاف وجهات النظر ، فإصلاحُ ذات البين أمر هام وضروري ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ [الأنفال : ١]

---

(١) مختصر صحيح البخاري ص ٣٣٩ رقم ١٠٥٩ ـ كتاب المظالم .

(٢) متفق عليه في رياض الصالحين رقم ١٥٦٧ ص ٤٥٦ باب النهي عن التباغض والتقاطع والتدابر .

وقد يحتاج الإصلاح إلىٰ بعض التقول حيث يقول عليه السلام « ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً »[1] . والإصلاح أفضل العبادات ، وفساد ذات البين هو الحالقة « لا أقول تحلق الشعر ، ولكن تحلق الدين »[2] .

- والجيش الإسلامي أفراده ثابتين علىٰ الحق فالحق اسم من أسماء الله والإسلام والإيمان والدين حق ، ويعني ذلك التفقه بالدين لمعرفة الحق ، ثم الثبات عليه « اللهم يا مصرف القلوب صرف قلوبنا علىٰ دينك »[3] ، هذا من دعاء النبي الكريم عليه الصلاة والسلام .

« ولا تزال عصابة من المسلمين يقاتلون علىٰ الحق ظاهرين علىٰ من ناوأهم إلىٰ يوم القيامة »[4] .

- تداخُل الطاعة والولاء بين الأفراد وقائدهم « أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فيكم ، فإذا عصيت فلا طاعة لي عندكم »[5] فطاعة أمير الجيش من طاعة رسول الله ولكن « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » :

* * *

---

(١) البخاري ٢٦٩٢ .
(٢) الترمذي ٤/ ٦٦٣ .
(٣) مختصر صحيح مسلم ١٨٥١ باب تصريف الله القلوب .
(٤) البخاري ٣٦٤١ وروايته في مختصر صحيح مسلم ص ٢٩٠ رقم ١٠٩٦ . . يقاتلون على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك . .
(٥) البداية والنهاية ج٦/ ٣٠١ خطبة الخليفة أبي بكر يوم تولي الخلافة .

أعلام قادة جيوش المسلمين

١ـ رسول الله ﷺ في غزواته بدر ، وأُحد ، الخندق « الأحزاب »، صلح الحديبية ، خيبر ، فتح مكة ، حنين ، تبوك .

٢ـ الخليفة الراشد أبو بكر الصديق قائد أول معركة إسلامية في الهجوم الليلي ، حين طرد المرتدين خارج المدينة إلىٰ ذي القَصَّة، ثم إلىٰ الأبرق .

٣ـ الخليفة الراشد ، أمير المؤمنين ، علي بن أبي طالب ـ له مواقف في الخندق وخيبر مشهورة زمن رسول الله ﷺ، ومعارك مختلفة لتثبيت دعائم الخلافة .

٤ـ الزبير بن العوَّام قريبُ رسول الله وصاحبُه قادَ نَجدة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلىٰ عمرو بن العاص .

٥ـ خالد بن الوليد سيف الله في معركة مؤتة ، وفي مقاتلة المرتدين وفي فتح الحيرة والعراق ودمشق بعد اليرموك .

٦ـ عمرو بن العاص قاد معركة ذات السلاسل في عهد رسول الله ﷺ وخاض أجنادين وفتح مصر .

٧ـ سعد بن أبي وقاص قائدُ معركة القادسية منبطحاً علىٰ صدره بسبب مرضه ، وقضىٰ علىٰ « رُسْتُم » الفارسي .

٨ـ أبو عبيدة عامرُ بن الجراح ، أمين هذه الأمة ، فتح بيسان وطبريا وبَعْلَبَكّ وحِمص وحَماة وأنطاكيّة .

٩ـ النعمان بن مقرن بن عائذ المزني فاتح نهوند حيث خسر الفرس فيها ٢٠ ألف قتيل واستشهد هو بها .

١٠ـ عقبة بن نافع ، فاتح المغرب حتىٰ بحر الظلمات ، « والله يا رب لولا هذا البحر لمضيت مجاهداً في سبيلك » .

١١ـ موسىٰ بن نصير فتح بلاد الشمال الإفريقي وجزيرة صِقِلِّيَّة وسردينيا وفَتَح الأندلس . ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ . . ﴾ [الحشر ١٠] .

* * *

الخاتمة

إن الشخصية العسكرية الإسلامية ليست غائبةً عن المسلم ، بل هي ملتصقة بالشرع الحنيف ، بدءاً من رسول الله ﷺ المَثل الأعلىٰ ومن بعده الصديق والفاروق اللذين قادا جيوش المسلمين لنشر الدين الحنيف وفتح البلاد وإلى عثمان ذي النورين الذي في عهده قاد عبد الله بن سعد بن أبي سرح أعظم معارك البحر وأولها في الإسلام (ذات الصواري)[1] والتي حولت البحر المتوسط من بحر الرُّوم إلىٰ بحر العَرَب (المسلمين) . وإلى الإمام علي بن أبي طالب صاحب المعارك الأعلام ، ومن سار علىٰ نهجهم والتزم به ، إن الشرع الحنيف وشخصية الرسول الكريم ﷺ هما اللباس الذي تتزين بهما الشخصية العسكرية الإسلامية .

ولربط حاضر الأمة بماضيها نقدم هذه الدراسات وأمثالها لقول الرسول الكريم ﷺ « إن هذا الأمر لا يصلح آخره إلا بما صلح أوله » وصدق رسول الله ﷺ .

* * *

---

(١) سميت بذات الصواري لكثرة الصواري التي أشتركت بها حيث كان عدد مراكب المسلمين ٢٠٠ ومراكب الروم ٥٠٠ وقاد المعركة عبد الله بن سعد بن أبي سرح حيث ربط السفن مع بعضها ، وتم النَّصر للمسلمين بعد أن قتل فيها خلق كثير منهم .

فهرست المصادر

ـ القرآن الكريم .

ـ مختصر صحيح مسلم للمنذري تحقيق الألباني ـ المكتب الإسلامي بدمشق ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧م .

ـ مشكاة المصابيح ـ الخطيب التبريزي تحقيق الألباني .

ـ مختارات الأحاديث النبوية ـ أحمد الهاشمي دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨م .

ـ الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها تحقيق الألباني المكتب الإسلامي بيروت ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥م .

ـ الأحاديث الأربعين في فضل الجهاد والمجاهدين ـ إسماعيل النبهاني البشائر الإسلامية بيروت ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤م .

ـ الإمام البخاري وصحيحه ـ د . عبد الغني عبد الخالق دار المنار للنشر جدة ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م .

ـ السيرة الحلبية المسماة بإنسان العيون في سيرة الأمين المأمون ـ بدر الدين الحلبي مطبعة البابلي مصر ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤ م .

ـ الجهاد والفدائية في الإسلام حسن أيوب دار الندوة الجديد بيروت ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ .

ـ البداية والنهاية لأبي الفداء الحافظ ابن كثير دار الفكر بيروت ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨م .

ـ الجهاد والقتال في السياسة الشرعية ـ رسالة دكتوراه محمد خير هيكل دار البيارق بيروت ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣ .

- التاريخ الأندلسي - د. عبد الرحمن علي الحجي - دار القلم - بيروت ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب - المقري - تحقيق د. إحسان عباس - بيروت ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.
- المغازي - الواقدي - القاهرة ١٩٤٨ م.
- الجيش العربي في عصر الفتوحات إحسان هندي إدارة التوجيه المعنوي في الجيش السوري ١٩٧١ م .
- حلية الفرسان وشعار الشجعان محمد بن عبد الرحمن الهزيل الأندلسي دار الطباعة والنشر ١٩٥١ م .
- رجال الفكر والدعوة في الإسلام أبو الحسن الندوي دار القلم والتوزيع الكويت ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.
- السلام والحرب في الإسلام محمد فروج دار الفكر العربي ١٩٦٠ م .
- العقد الفريد لأبي عمر شهاب الدين المعروف بابن عبد ربه الأندلسي طبعة القاهرة ١٩٥٤ م .
- قصة الكفاح بين العرب والاستعمار محمد سعيد العريان وجمال الشيال دار المعارف ١٩٦٠ م .
- الجهاد في الإسلام د . محمد القادري دار المنار جدة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
- سيف الله خالد بن الوليد الجنرال آ . أكرم ترجمة صبحي الجابي موسسة الرسالة بيروت ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .
- معركة المنصورة وآثارها في الحروب الصليبية عبد الرحمن زكي - إدارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي لوزارة الحربية المصرية القاهرة ١٩٥١ م .
- فتوح الشام - الواقدي - القاهرة ١٩٥٤ م.
- الذكاء والقيم المعنوية في الحرب جنرال جان بيريه تعريب أكرم ديري والهيثم الأيوبي دار الطليعة - بيروت ١٩٦٨ م .

- مدخل علم النفس العسكري ـ عبد المجيد كركوتلي ـ قيادة الجيش السوري هيئة التدريب قسم النشر ١٩٦٢ م .
- حياة الصحابة محمد يوسف الكاندهلوي دار المعرفة بيروت .
- تاريخ الطبري (الرسل والملوك) محمد بن جرير الطبري تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعارف بمصر ١٩٧٠ م .
- فتوح البلدان ـ البلاذري ـ القاهرة ١٩٥٩ م.
- الإسلام في قفص الاتهام شوقي أبو خليل دار الفكر دمشق ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ .
- الجيش والقتال في صدر الإسلام محمود أحمد محمد سليمان عواد مكتبة المنار الزرقاء الأردن ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م .

* * *

فهرست الموضوعات

* * *



